كتاب نصيحة الملوك بالعربية سنجاقدن كلان
نسخ

آياصوفيه
٧٨٦٦

التبر المسبوك فى نصيحة الملوك

تأليف فخر الموالى حجة الاسلام الغزالى

٣٨٦٦

وقف هذه النسخة الجليلة بسلطانها الاعظم والخاقان المعظم مالك الرقاب
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
محمود خان فتح الله صباحه على عالمى طالع وسعد دائما وسعد
خلد الله ملكه الاحمد حرره العبد احمد سليم زاده
المفتش بوقاف الحرمين الشريفين
عفى عنهما

الحمد لله على انعامه وافضاله • والصلوة على سيدنا محمد واله وبعد
فانه سألني بعض الكبراء ان انقل هذا الكتاب وهو كتاب نصيحة الملوك
من اللغة الفارسية الى الالفاظ العربية • فامتثلت ذلك ونقلته
على ترتيبه وصورته • ولم اغير شيئا من وضع الكتاب وصيغته
واجتهدت في تسهيل عباراته • وايضاح اشاراته قصدا لمستعمل الكلام
ليكون اقرب الى الافهام • بقدر ما بلغته بلاغته • وافصحت عنه
فصاحته • وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب قال
الشيخ الامام شرف الائمة ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه
الله وهو مخاطب للسلطان محمد ابن ملكشاه رحمه الله اعلم
يا سلطان العالم وملك المشرق والمغرب ان الله انعم عليك نعما ظاهرة
والآء متكاثرة يجب عليك شكرها • ويتعين عليك اذاعتها ونشرها
ولم يشكر نعم الله جل ثناؤه • وتقدست اسماؤه • فقد عرض تلك
النعم للزوال وخجل من تقصيره يوم القيامة وكل نعمة تفنى عند الموت
فليس لها عند العاقل قدر • ولا عند اللبيب خطر • وان تطاولت
مدته لا ينفع طوله اذا انقضى امده • وفني عدده • فان نوحا عليه السلام

عاش الف سنة وتيفا ومنذ موته الى الان ستة الاف سنة وكانه
لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام • وتدوم مدى الليالي والايام
وهي نعمة الايمان الذي هو بذر السعادة المؤبدة • والنعمة الخالدة • والله
جلت قدرته قد خولك هذه النعمة وزرع بذر الايمان في صفاء صدرك
واودعه قلبك وسرك • ومكنك من تربية ذلك البذر وامرك ان تسقيه
بالطاعة حتى يصير شجرة اصلها في قعر التسفلي وفرعها في السموات العلى
كما قال عز من قائل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء • واذا لم تثبت اصل شجرة الايمان ولم
يكمل فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت • وعواصف الفوت
فتقلع عند النفس الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان
ويلقى ربه بغير احسان • واعلم ايها الملك ان هذه الشجرة عشرة
اصول وعشرة فروع فاصلها الاعتقاد بالجنان • وفرعها العمل
بالاركان • وهذا الذاعي لما صادف القبول من المجلس العالي شرح هذه العشرة
الاصول والعشرة وهذه العشرة فروع ليشتغل سلطان العالم بتربية
هذه الشجرة وانما يصح له ذلك اذا افرد يوما من ايام الاسبوع لعبادة ربه
والاشتغال فيه بعمل الاخرة وهو يوم الجمعة فانه عيد المومنين وفيه
ساعة شريفة كل من سأل الله تعالى فيها حاجته بنية حاضرة وسريرة طاهرة
فانه جل ذكره يقضي حاجته ولا يخيب دعوته وما ذا عليك اذا افردت
من سبعة ايام يوما واحدا لخدمة ربك فانه في المثل لو كان لك عبد ومرته

ان يشتغل فى كل اسبوع يوما واحدا بجذمتك لتهب له تقصيرك فى الايام
السنة فخالفك ذلك العبد كيف كان حاله عندك مع ان العبد لست
بخالقه وانما هو عبدك مجازا وانت ايها الملك مخلوق للخالق تعالى وعبده
على الحقيقة فلم ترض من نفسك بالارتضاه من عبدك فانو الصيام
من ليلة الجمعة فان اضفت اليه الخميس كان اولى وقم يوم الجمعة صبحا
واغتسل والبس من الثياب ما له ثلاث صفات احدها ان يكون حلالا
وان يكون مما تجوز فيه الصلوة وان يكون ابريسيما فى الصيف الدبيقى والقصب
والنورى والكتان وفى الشتاء الخز والقطن والصوف والمروى وكل ثوب على غير هذه
الصفة فان الله تعالى لا يرضاه وصل الصبح فى جماعة ولا تتكلم الى ان تطلع
الشمس ولا تحول وجهك عن القبلة وخذ السبحة فى يدك وقل لا اله الا الله
محمد رسول الله الف مرة فاذا طلعت الشمس فامر قارئا يقرء عليك هذا الكتاب
وكذلك فليقراء عليك فى كل جمعة ليحصل فى محفوظك فاذا فرغ القارئ من
الكتاب فصل اربع ركعات وسبح الى وقت الضحى فان ثواب هذه الصلوة
عظيم وخاصة فى يوم الجمعة وبعد ذلك ان كنت على تحت السلام وكنت فى الحلوة
فقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد متواترا ومهما قدرت ان تتصدق به
فى هذا اليوم فتصدق واجعل هذا اليوم الواحد من ايام الاسبوع لله تعالى
ليجعل الله باقى الاسبوع لك ويكفر عنك **ابتداء قاعدة الاعتقاد الذى**
هو اصل الايمان اعلم ايها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم
وجميع ما فى العالم وانه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان فى الازل وليس لكونه

زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء وجوده فى الازل والابد واجب
وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل احد اليه محتاج وليس له
الى احد احتياج وجوده به ووجود كل شيء به **الاصل الثانى فى تنزيه الخالق**
اعلم ان البارى تعالى ليس له صورة ولا قالب وانه تعالى منزه عن الكيف والكم
وعن المادى ولم وانه لا يشبهه شيء وكل ما يخطر فى الوهم والخيال والفكر من
التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين وهو
خالقها فلا يوصف بها وانه تعالى وحده ليس فى مكان ولا على مكان فان المكان
لا يحصره وكل ما فى العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره
فانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش لحامل له بل العرش
وحملته يحملهم بلطفه وقدرته وانه تقدس عن الحاجة الى المكان قبل
خلقة العرش وبعد خلقه وانه متصف بالصفة التى كان عليها فى الازل ولا
سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه متقدس عن صفات
المخلوقين منزه وهو فى الاخرة مرئى كما نعلمه فى الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك
نراه فى الاخرة بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا ليس
كمثله شيء **الاصل الثالث فى القدرة** وانه تعالى على كل شيء قدير وانه قدرته
وملكه فى نهاية الكمال ولا سبيل اليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما يشأ
يفعل وان السموات السبع والكرسى والعرش فى قبضته وقدرته وتحت قهره
وتسخيره ومشيته هو مالك الملك لا ملك الا ملكه **الاصل الرابع فى العلم**
وانه تعالى عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شيء وليس شيء من العلى الى الثرى

وانه تعالى لا يشبه شيء من الاشياء
قالب

الا وقد احاط به علمه لان الاشياء بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت وانه تعالى يعلم
عدد رمال الففار وقطرات الامطار وورق الاشجار وغوامض الافكار وان ذرات
الرياح والهوى في علمه ظاهر مثل عدد نجوم السماء **الاصل الخامس في الارادة**
فان جميع ما في العالم بارادة ومشيته وليس شئ من قليل او كثير صغير او كبير خير او شر
نفع او ضر زيادة او نقصان راحة او نصب صحة او وصب الا بحكمته وتدبيره و
مشيته وتقديره ولو اجتمع الجن والانس والملائكة والشياطين على ان يحركوا في
العالم ذرة او يسكنوها او ينقصوا منها او يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته
لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا ما شاء كان وما لا يشاء لا يكون ولا يريد مشيته شئ وهما
كان ويكون وهو كاين فانه بتدبيره وتسخيره **الاصل السادس في انه سميع بصير**
وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع لكل مسموع بصير لكل مرئي وان القريب
والبعيد في سمعه متماثل والضياء والظلام في بصره متماثل شيء واحد وانه يرى
دبيب النملة في الليلة المظلمة ولا يخفى عنه ولا يغرب عن سمعه صوت المدود
تحت اطباق الارض وان سمعه ليس باذن وبصره ليس بعين وكما ان علمه لا يصدر
عن فكرة وفعله بغير الة وعدة يقول للشئ كن فيكون **الاصل السابع في الكلام**
وان امره تعالى جميع الخلق نافذ واجب وما اخبر به من وعد او وعيد فانه حق
وامره كلامه وكما انه عالم قدير سميع بصير فهو متكلم وكلامه بغير خلق ولا
لسان ولا فم ولا اسنان والتورية والقران والانجيل والزبور والكتب المنزلة
من السماء على الانبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفته وكل صفاته
قديمة لم تزل وكما ان الكلام عند الادمي حرف وصوت فكلام الله منزه عن

الحرف والصوت **الاصل الثامن في افعاله تعالى** وان جميع ما في العالم مخلوق له
وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد وما سواه كان من تعب ومرض
وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتكرم الظلم من افعاله لان الظالم هو الذي
يتصرف في ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا في ملكه وليس معه
مالك سواه وكلما كان ويكون وهو كاين فهو ملك وهو المالك بلا شبيه
ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف لكن له الحكم والامر في كل
افعاله وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضاء بقضائه **الاصل**
التاسع في ذكر الاخرة وانه تعالى خلق العالم من نوعين من شخص وروح
وجعل الجسد منزلا للروح لتاخذ زادا لاخرتها المدة من هذه العالم وجعل
لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد واخر تلك المدة هو اجل تلك
الروح من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد
واذا وضع الميت في قبره اعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما
شخصان هايلان عظيمان فيسالانه من ربك ومن نبيك فان استعجم
ولم يجب عذباه وملا قبره حيات وعقارب ويوم القيامة يوم الحساب
والمكافاة والمناقشة والمجازات ترد الروح الى الجسد وتنشر الصحف
وتعرض الاعمال على الخلايق فينظر كل انسان في كتابه فيرى اعماله ويشاهد
افعاله ويعلم مقدار طاعته معصيته فتوزن اعماله في ميزان الاعمال
ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط ادق من الشعرة واحد من السيف
فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة

الواضحة عبر على الصراط وجازه فى راحة واستراحة ومن لم يكن على السيرة
المحمودة والاعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق
على الصراط ولا يهتدى الى الجواز ويقع فى جهنم والكل يوقفون على الصراط
ويسألون عن افعالهم فيسأل الصادقون عن صدقهم ويمتحن المنافقون
والمراؤن ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة
يحاسبون بالرفق والمسامحة وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة
والمحاققه ثم يسحبون الكفار الى جهنم بحيث لا يجدون خلاصا
ويدخل اهل الاسلام المطيعون الى الجنة ويؤمر بالعصاة الى النار
فكل من بالله شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من الصلحاء عفى عنه
وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار اثمه وعذب بمقدار جرمه ثم دخل
الجنة ان كان قد سلم ايمانه الى الاخرة **الاصل العاشر فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم**
ولما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل افعال الانسان واحواله واكتسابه
واعماله منها ما هو سبب لشقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته والانسان
لا يقدر ان يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى لحكمة فضله ورحمته
وطوله ومنته ملائكة وبعثهم الى اشخاص قد حكم لهم بالسعادة فى الازل
وهم الانبياء عليهم السلام فارسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة
والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وارسل رسولنا محمدا صلى الله عليه
وسلم اخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وافضل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق
للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبى بعده وامر

الخلائق من الجن والانس بطاعته ومتابعته وجعله سيد الانبياء
وجعل اصحابه خير اصحاب الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ""

ذكر فروع شجرة الايمان اعلم ايها السلطان انه كلما كان فى قلب الانسان
من معرفة واعتقاد فذلك اصل الايمان وما كان جاريا على اعضائه السبعة
من الطاعة والعدل فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع ذاهبا ذاويا دل
على ضعف الاصل فانه لا يثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب
والاعمال التى هى فروع الايمان تجنب المحارم واداء الفرايض وهى قسمان
احدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلاة والحج والزكوة واجتناب
شرب الخمر والعفة من الحرام والاخرى ما بينك وبين الخلق وهى العدل فى الرعية
والكف عن الظلم والاصل فى ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة
امره والازدجار بزجره ما تختار ان يعتمده عبدك فى حقك وان تعمل فيما بينك
وبين الناس ما تؤثر ان يعمل معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من
رعيته واعلم انه ما كان بينك وبين الخالق تعالى فان عفوه قريب وانه غفور رحيم
اما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة وخطره
عظيم ولا يسلم من هذا الخطر احد من الملوك الا ملك عمل بالعدل فى رعيته
لتعلم كيف يطلب العدل والانصاف منك فى يوم القيامة واصول العدل
والانصاف عشرة **الاصل من ذلك** وهو ان تعرف قدر الولاية وتعلم
خطرها فان الولاية نعمة من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده
ومن قصر عن النهوض بحقها حصل فى الشقاوة ولا شقاوة بعدها الا الكفر بالله

والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال عدل السلطان يوما واحدا افضل من عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام
اذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجاء الا ظل الله ولا يستظل بظله الا سبعة
اناس سلطان عادل عدل في رعيته وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل يكون
في السوق وقلبه في المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل ذكر الله تعالى في
خلوته فادرى دمعه من مقلته ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها
انى اخاف الله ورجل تصدق سرا بيمينه ولم تشعر بها شماله وقال عليه السلام
احب الناس الى الله تعالى واقربهم منه السلطان العادل وابغضهم الى الله وابعدهم
عنه السلطان الجائر وقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع
للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية وكل صلاة
يصليها تعدل سبعين الف صلوة فاذا كان كذلك فلا نعمة اجل من ان يعطى
العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره ومن لم يعرف
بقدر هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه ان يجعله الله من جملة اعدائه
ومما يدل على عظم خطر الولاية ما روى ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان في البيت
نفر من قريش فقال عليه السلام يا سادات قريش عاملوا رعاياكم واتباعكم بثلثة
اشياء اذا سألوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم فاعدلوا فيه واعملوا بما
تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا
ولا نفلا وقال صلى الله عليه وسلم من حكم بين خصمين فظلم فلعنة الله على

الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة سلطان
كاذب وشيخ زان وفقير متكبر يعني انه يتكبر للطمع وقال صلى الله عليه وسلم
للصحابة رضي الله عنهم سيأتي عليكم يوم تفتحون جانب المشرق والمغرب
ويصير ايديكم فكل عمال تلك الامكن في النار الا من اتقى الله تعالى وسلك
سبيل التقوى وادى الامانة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولاه الله امر رعيته
فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم من ولي امور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه اهل بيته فقد تبوء
مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم رجلان من امتي يحرمان شفاعتي ملك
ظالم ومبتدع غال في الدين يتعدى الحدود وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيامة السلطان الظالم وقال صلى الله عليه وسلم خمسة قد غضب الله
عليهم وان شاء امضى غضبه ومقرهم النار امير قوم يأخذ منهم ولا ينصفهم من نفسه
ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يساوي بين القوي والضعيف
ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر اهله واولاده بطاعة الله ولا يعلمهم امور الدين
ولا يبالي من اين اطعمهم ورجل استأجر اجيرا فتم عمله ومنعه اجرته ورجل ظلم
زوجته في صداقها وروي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شيع يوما جنازة فتقدم
رجل وصلى بالجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على قبره وقال اللهم
ان عذبته فحقك لانه قد عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك وطوبى
لك ايتها الميت ان لم تكن اميرا او عريفا او كاتبا او عوانيا او حاجبا فلما تكلم هذه
الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فامر عمر رضي الله عنه بطلبه فطلب

فلم يوجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام • وقال النبي عليه السلام
ويل للامراء وويل للعرفاء • وويل للعوانية فانهم اقوام يعقلون يوم القيامة
من السماء بدوابهم يودون لو لم يعملوا عملا قط • وقال صلى الله عليه وسلم ما من
رجل ولي عشرة من الناس الا جيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان بغل الى
عنقه • فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله سيئا غل اخر • وقال
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ويل لقاضي الارض من قاضي السماء حين يلقاه
الا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يميل مع اقاربه ولم يبدل
حكما بخوف او طمع لكن يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينه ويحكم بما فيه •
وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة فيقول الله تعالى انتم كنتم رعاة
خليفتي وخزنة ملكي في ارضي • ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد
الذي امرت به فيقول يا رب لانهم عصوك وخالفوك فيقول لا ينبغي ان يسبق
غضبك غضبي ثم يقول لاخر لم عاقبت عبادي اقل من الحد الذي امرت به
فيقول يا رب رحمتهم فيقول كيف تكون ارحم مني خذوا الذي زاد والذي
نقص فاخسئوا بهما زوايا جهنم • وقال حذيفة رضي الله عنه انا لا اثني على
احد من الولاة سواء كان صالحا او غير صالح لاني سمعت رسول الله عليه وسلم
يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط
فيوحي الله الى الصراط ان تنغضهم في النار مثل من جار في الحكم واخذ رشوة
على القضاء واعار سمعه لاحد الخصمين دون الاخر فيسقطون من الصراط فمنهم من
في النار سبعين سنة يصلون الى قرارها قد جاء في الخبر ان داود عليه السلام كان

يخرج في الليل متنكرا بحيث لا يعرفه احد • وكان سيل كل من يلقاه عن سيرة
داود سرا فجاءه جبريل عليه السلام يوما في صورة فقال له ما تقول في داود
فقال نعم الرجل داود الا انه ياكل من بيت المال ولا ياكل من كده وتعب يده
فعاد داود الى محرابه باكيا حزينا وقال الهي علمني صنعة اكل بها من تعبي وكدي
فعلمه الله تعالى عمل الزرد • كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل ليلة يطوف
مع العسس حتى يرى خللا يتداركه وكان يقول لو تركت عنزا جربا الى جانب
ساقيه لم تدهن لخشيت ان اسئل عنها يوم القيامة • فانظر ايتها السلطان
الى عمر رضي الله عنه مع احتياطه وعدله وما وصل احد من الادميين الى
تقواه وصلابته كيف يتفكر ويتخوف من اهوال يوم القيامة • وانت قد جلست
لاهيا عن احوال رعيتك غافلا عن اهلك ولايتك • قال عبد الله بن عمر وجماعة
من اهل بيته انا كنا ندعوا الله تعالى ليريانا عمر في المنام فرأيته في المنام
بعد اثني عشرة سنة كانه قد اغتسل وهو متلفع بازار فقلت يا امير المؤمنين
كيف وجدت ربك باي حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم
فقلت اثني عشر سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت ان اهلك الا ان الله
غفور رحيم جواد كريم • فهذا حال عمر رضي الله عنه ولم يكن له في دنياه من
اسباب الولاية سوى درة **حكاية** ارسل قيصر رسولا الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
لينظر احواله ويشاهد افعاله • فلما دخل المدينة سأل اهلها وقال اين ملككم
فقالوا ما لنا ملك بل لنا امير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه
فرآه نائما في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة

بدني

والعرق يسقط من جنبيه الى ان قد بل الارض فلما رآه على هذه الحالة وقع
الخشوع في قلبه • وقال رجل تكون جميع الملوك لا يقرلهم قرار من هيبته وتكون
هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فامنت فنمت وملكنا يجوز فلا جرم انه لا يزال
ساهرا خايفا اشهد ان دينك الدين الحق ولولا اني اتيت رسولا لاسلمت ولكني
اعود بعد هذا واسلم • ايها السلطان خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم والشرح
في ذلك طويل ولا يسلم الوالي الا بمقارنة علماء الدين وتحرص على استماع نصحهم
وان يحذر من رؤية السوء الذين يحرصون على الدنيا فانهم يثنون عليك
ويعرفونك ويطلبون رضاك طمعا فيما يدك من خبيث الخطام ونيل الحرام
ليحصلوا منه شيئا بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذي لا يطمع فيما
عندك من المال وينصفك في الوعظ والمقال • كما يقال ان شقيق البلخي دخل
على هارون الرشيد فقال انت شقيق الزاهد فقال له انا شقيق وانت بزاهد
فقال له اوصني فقال له ان الله تعالى قد اجلسك مكان الصديق وانه يطلب
منك مثل صدقه واعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب
منك الفرق بين الحق والباطل مثله • واقعدك مكان ذي النورين وانه
يطلب منك حيائه وكرمه • واقعدك موضع علي ابن ابي طالب وانه يطلب منك
العلم والعدل كما يطلب منه • فقال له زدني من وصيتك فقال نعم اعلم ان لله
دارا تعرف بجهنم وانه جعلك بواب تلك الدار واعطاك ثلثة اشياء
بيت المال والسوط والسيف وامرك ان تمنع الخلق من دخول النار بهذه
الثلثة • فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال ومن خالفك فيما امرته به

فأدِّ بهذا السوط • ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بالسيف بإذن ولي المقتول
فان لم تفعل ما امرك فانت تكون الزعيم لاهل النار والمقدم لاهل الى دار
البوار • فقال زدني من الوصية • فقال انما مثلك كمثل معين الماء وساير
العمال في العالم كمثل السواقي • فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقي و
اذا كان المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقي • خرج هارون الرشيد والعباس
ليلا الى زيارة الفضيل ابن عياض فلما وصلا الى بابه وجداه يتلو هذه الاية
أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون • معنى الاية ايظنون ان الذين
يكسبون الخطايا ويعملون الاعمال المذمومة ان تساوي بينهم في الاخرة
وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون كلا ولما • فقال هارون ان كنا
جيئنا لنطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم امر العباس ان يطرق عليه
الباب فطرق بابه • وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل ما
يصنع عندي امير المؤمنين فقال له اطع امير المؤمنين وافتح الباب وكان
ليلا والمصباح تقد فطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده
ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج
من العذاب • ثم قال له يا امير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة
فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة • ويطلب منك انصافك اياه فبكا هارون
بكاء شديدا فقال له العباس مهلا يا فضيل فقد قطعت امير المؤمنين • فقال له
الفضيل يا هامان انت وقومك اهلكتموه وتقول لي مهلا فقد قتلته فقال

الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وقد جعلني فرعون ثم وضع الرشيد بين يدي
الفضيل الف دينار • وقال هذه من وجه حلال من صداقي امي ومهرها • فقال
له الفضيل انا امرك ان ترفع يدك عما فيها وتعود الى خالقك وانت تلقيه الي
ولم يقبلها وخرج من عنده • سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي
فقال صف لي العدل فقال كل مسلم اصغر منك فكله ابا ومن كان اكبر منك سنا
فكله ولدا ومن كان مثلك فكله اخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه واياك
ان تضرب مسلما سوطا وعلى حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار • حضر بعض
الزهاد بين يدي خليفة الوقت فقال له عظني فقال يا امير المؤمنين اني سافرت الى
الصين وكان ملك الصين قد اصابه الصمم وذهب سمعه فرايته يبكي ويقول ما ابكي
لزوال سمعي وانما ابكي لاجل مظلوم يقف ببابي ويستغيث ولا اسمع استغاثته
ولكن الشكر لله اذ بصري سالم • وامر منادي ينادي في كل من كانت له ظلامة فليلبس
عليه ثوبا احمر وكان يركب الفيل كل يوم فمن رأى عليه ثوبا احمر دعاه وسمع
شكواه وانصفه من خصمه • فانظر يا امير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر الى
عباد الله تعالى وانت مؤمن ومن اهل بيت الرسول فانظر كيف تكون شفقتك •
حضر ابو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظني فقال من عهد آدم الى يومنا
هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدني فقال انت اول خليفة يموت • فقال زدني
فقال كان الله معك فممن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجي وان كان الله عليك
فمن ترجو فقال حسبي الله بما قلت • كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتذكر يوما
وقال قد تنعمت في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الاخرة وانفذ الى ابي حازم وكان

عالم زمانه وازهدهم • وقال ابعث لي شيئا من قوتك الذي تفطر عليه فانفذ له
قليلا من نخالة قد شواها • وقال هذا فطوري فلما راى سليمان ذلك بكا واثر في
قلبه الخشوع تاثيرا كثيرا فصام ثلثة ايام وطوى ليالها وافطر الليلة الثالثة
على تلك النخالة المشوية فيقال انه في تلك الليلة تعشى اهله فكان منها عبد العزيز
وجاء منه عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه في عدله وانصافه وزهده
واحسانه وكان على طريقة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه • وقيل ان ذلك ببركة
نيته وصيامه واكله من ذلك الطعام • سئل عمر ابن عبد العزيز ما كان بدء
توبتك فقال كنت يوما اضرب غلاما لي فقال اذكر تلك الليلة التي يكون صيحتها
القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي • راى بعض الاكابر هارون الرشيد في عرفات
وهو خائف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يده وهو يقول الهي انت
وانا انادي كل يوم ان اعود الى عصيانك ودابك ان تعود علي بمغفرتك و
رحمتك • فقال الكبراء انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدي جبار السماء • سأل
عمر بن عبد العزيز يوما لابي حازم الموعظة فقال له ابو حازم اذا نمت فضع
الموت تحت راسك وكلما تختار ان ياتيك الموت وانت مصر عليه فافعله
والزمه وكلما لا تؤثر ان ياتيك الموت وانت عليه فاجتنبه فربما كان الموت
منك قريبا • فينبغي لصاحب الولاية ان تجعل هذه الحكاية نصب عينيه • وان
يقبل الموعظة التي وعظ غيره وكلما راى عالما سأله ان يعظه • وينبغي للعالم
ان يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل
من غرهم فهو مشارك في ظلمهم **الاصل الثالث** ان لا تقنع برفع يدك

عن الظلم لكن تهذب غلمانك واصحابك وغلمانك وعمالك وتوابك ولا تريهم بالظلم
فانك تسئل عن ظلمهم كما تسال عن ظلم نفسك كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
الى عامله ابي موسى الاشعري اما بعد فان اسعد الولاة من سعدت به رعيته
وان اشقى الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان عمالك يقتدون
بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضرا فاكلت منه حتى سمنت فكانت
سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل وفي التورية مكتوب كل ظلم
علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه وخذبه وعوقب
عليه وينبغي للوالي ان يعلم انه ليس احد اشد غبنا ممن باع دينه وآخرته
بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالي ويحزنون
الظلم عنده فيلقونه في النار ليصلوا الى اغراضهم واي عدو اشد عداوة ممن يسعى
في هلاكك لاجل درهم حرام يكتسبه ويحصله وفي الجملة ينبغي لمن اراد حفظ
العدل على الرعية ان يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ احوال اهله واولاده ومنزله
ولا يتم لهم ذلك الا بحفظ العدل اولا من باطنه وذلك ان لا يسلط شهوته وغضبه
على عقله ودينه ولا يجعل عقله ودينه اسير شهوته وغضبه بل يجعله شهوته
وغضبه اسير عقله ودينه واكثر الخلق في خدمة شهواتهم يستنبطون الحيل
ليصلون الى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون ان العقل من جوهر والملائكة
من جند الباري جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن
يجعل جند الله وملائكته اسراء جند الشيطان كيف يعدل في غيرهم وال
ما تطهر شمس العدل في الصدر ثم تنشر نورها في اهل البيت وخواص الملك فيسد

شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب وطمع فيما لا ينال
واعلم ايها السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل ان
ترى الاشياء كما هي وتدرك حقايق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تحب
على الناس لاجل الدنيا فتظر اي شيء مقصودك من الدنيا فان كان مقصودك
اكل الطعام الطيب فيجب ان تعلم ان هذه شهوة بهيمية في صورة ادمي فان
الشره الى الاكل من طبايع البهايم وان كان مقصودك لبس الديباج فانك
امراة في صورة رجل لان التزين والرعونة من اعمال النساء وان كان مقصودك
ان تمضي غضبك على اعدائك فانت اسد وسبع في صورة ادمي لان الحصار
الغضب من طبايع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك الناس فانت
جاهل في صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين تخدمونك انما هم
خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركاء الى تناول
شهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لا تنفعهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا ارجافا
ان الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك
الشخص وفي اي موضع علموا الدرهم فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى
الحقيقة ليس هذه خدمة وانما هي ضحكة والعاقل من نظر ارواح الاشياء
وحقايقها ولم يغتر بصورها واشكالها وحقيقة هذه الاعمال ما ذكرناه فكل
من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار
فلهذا السبب كان راس مال كل السعادات العقل **الاصل الرابع** الوالي الاغلب
يكون متكبرا ومن التكبر تحدث غلبة السخط الراعية الى الانتقام والغضب

عقوله وعرفه وافته وقد ذكرنا علاج ذلك في كتاب الغضب في ربع المهلكات و
اذا كان الغضب غالبا فينبغي ان تميل الى جانب العفو وتعود الكرم والتجاوز فاذا
صار ذلك عادة لك ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت مضا الغضب عادة
ماثلت السباع حكاية ابو جعفر المنصور امر بقتل رجل والمبارك ابن الفضل
حاضر فقال يا امير المؤمنين اسمع مني خبرا قبل ان تقتله روي الحسن البصري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلايق
في صعيد واحد نادي مناد من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى
عن الناس فقال اطلقوه فاني قد عفوت عنه واكثر ما يكون غضب الولاة على ما
ذكرهم وطول لسانه عليهم فيسعون في دمه قال عيسى ابن مريم عليه السلام
ليحيى ابن زكريا اذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحا فاشكر الله تعالى وان قال
كذبا فازدد في الشكر فانه يريد في ديوان اعمالك وانت مستريح يعني ان حسناتك
تكتب في ديوانك وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوي
شجاع فقال وكيف ذلك فقال انه يقوي بكل احد وما صارع احدا الا صرعه
فقال صلى الله عليه وسلم ثلثة من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيضه و
انصف في حال رضاه وعضبه وعفى عند القدرة وقال عمر ابن الخطاب رضي الله
لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب خرج زين العابدين رضي الله عنه
يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه فنهاهم زين العابدين وقال
كفوا ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ما لا تعرفه مني اكثر مما عرفته
فان لك حاجة فاذكرها فخجل ذلك الرجل واستحيا فخلع زين العابدين عليه قميصه

وامر له بالف درهم فمضى الرجل وهو يقول اشهد انك ابن رسول الله وروي
ان زين العابدين اما سمعت ندائي فقال بلى قال فلم لا اجبتني فقال امنت
وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله اذ قد امن مني عبدي ويروي زين العابدين
انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت هذا فقال كسرتها عمدا
لاغيظك فقال له وانا اغيظ الذي علمك وهو ابليس اذهب وانت حر لوجه الله تعالى
ويروي عنه ايضا ان رجلا سبه فقال له زين العابدين يا هذا بيني وبين جهنم
عقبة ان اجزتها فما ابالي بما قلت وان لم اجزها فانا اكثر مما تقول وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصايم القايم
ويكون الرجل يكتب في جريدة الجبارين ولا ولاية له ولاحكم الا على اهل منزله
وقال م باب لا يدخله الا من اتبع غضبه بخلاف الشرع ويروي ان ابليس رأى
موسى ع فقال يا موسى علمك ثلثة اشياء وتطلب لي من ربي حاجة فقال موسى
وما الثلثة اشياء فقال يا موسى احذر من الحدة والحرد فان الحرد ان يكون
خفيف الراس وانا العبه كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من النساء فاني ما نصبت
للخلق شركا اعتمد عليه مثل النساء واحذر من البخل فاني افسد على البخيل دينه
ودنياه وقال م من كظم غيضه وهو قادر على ان يمضيه ملأ الله قلبه
بالامن والايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التكبر والخيلاء وتواضع
لله البسه الله تعالى حلل الكرامة وقال م ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى
وجاء رجل الى النبي ع فقال علمني عملا ادخل به الجنة قال لا تغضب قال وما ذا
قال استغفر الله بعد صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة

فقال مالي ذنوب سبعين سنة فقال لأمك فقال مالإبني ذنوب سبعين سنة
فقال لأبيك فقال ولدين لابي ذنوب سبعين سنة فقال لاخوتك وروي ابن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ء م كان يوما يقسم مالا فقال رجل ما هذه
القسمة لله يعني انها ليست بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله ء م فغضب واحمر
وجهه ولم يقل شيئا سوي ان رحم الله اخي موسي فانه اوذي وصبر على الاذي
هذه الجملة والحكايات والاخبار تقنع في بصحة الولاة واذا كان اصل ايمانهم
ثابتا اثر فيهم هذا القدر فان لم يؤثر ما ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلو قلوبهم
من الايمان وانه ما بقي من ايمانهم الا الحديث باللسان عامل يتناول من اموال
المسلمين في كل سنة كذي كذي الف دينار ودرهم لاجل غيره ويبقى في ذمته
ويطالب بها في يوم القيامة ويحصل بمنفوعها سواه وبوء بالعقوبة والعذاب
يوم المرجع والمآب كيف يؤثر عنده هذه الاسباب وهذا نهاية الغفلة وقلة
الدين وضعف النخلة **الاصل الخامس** في كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك تقدر
انك واحد من جملة الرعية وان الوالي سواك فكما لا ترضاه لنفسك لا ترضى به
لاحد من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك
وغششت اهل ولايتك ويروي ان رسول الله ء م كان قاعدا يوم بدر في ظل
فهبط جبرئيل ء م فقال اقعد في الظل واصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر
وقال صلى الله ء م من احب النجاة من النار والدخول الى الجنة فينبغي ان يكون
اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة وكما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد
من المسلمين وقال ء م من اصبح وفي قلبه همة سوي الله تعالى فليس من الله تعالى

في شيء ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم **الاصل الثاني** ان لا تحتقر
انتظار ارباب الحوايج وو قوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومهما كان المسلم
اليك حاجة فلا يشتغل بنوافل العبادة كان عمر ابن عبد العزيز يقضي حوايج
الناس فجلس الى الظهر فتعب ودخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما
الذي يؤمنك ان ياتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة و
انت مقصر في حقه فقال صدقت ونهض وعاد الى مجلسه **الاصل الرابع**
انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة واكل
الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة في جميع الاشياء فلا عدل بالقناعة
سئل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين هل رايت من اخوالي شيئا
كرهته فقال سمعت انك وضعت رغيفين على ما ئدتك وان لك قيصان
احدهما لليل والاخر للنهار فقال هل غير هذين شيء فقال لا والله ان هذين ايضا
لا يكونان **الاصل الثامن** انه مهما امكنك ان تعمل الامور بالرفق فلا تعملها
بالشدة والعنف قال ء م كل والي لا يرفق برعيته لا يرفق به يوم القيامة ودعا
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم الطف بكل والي يلطف برعيته واعف
عن كل والي يعف عن رعيته • وقال ء م الولاية والامر حسنات لمن قام بحقها
وسيئات لمن اقصر فيهما • كان هشام ابن عبد الملك من خلفاء بني امية فقال
يوما لابا حازم وكان من العلماء ما التدبير في النجاة من امور الخلافة فقال
ان تاخذ كل درهم تاخذه من وجه حلال وان تضعه في موضع حق فقال
من يقدر على هذا فقال من يرغب في نعيم الجنان ويرهب من عذاب النيران •

الاصل التاسع ان تجتهد في ان يرضى عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع
قال ع لاصحابه خيار امتي الذين تحبونهم ويحبونكم وشرار امتي الذين يبغضونكم
وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم وينبغي للوالي ان لا يغتر بكل من يصل اليه اثني
عليه وان يعتقد ان جميع الرعية مثله راضون عنه فان الذي يثني عليه من خوفه
منه يثني عليه بل ينبغي ان يرتب معتمدين يسئلون عن احواله من الرعية ويتجسسون
ليعلم عيبه من السنة الناس **الاصل العاشر** ان لا يطلب رضا احد من الناس
بمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يرضى سخطه كان عمر ابن الخطاب
يقول اني اصبح كل يوم وبضف الخلق علي ساخط ولابد لكل من يوخذ منه الحق
ان يسخط ولا يمكن ان ترضي الخصمان واكثر جهلا من ترك رضي الحق لاجل رضي
الخلق • كتب معاوية رضي الله عنه الى عايشة رضي الله عنها ان عظيني عظة
مختصرة فكتب اليه سمعت رسول الله ع يقول من طلب رضاء الله في سخط
الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن طلب رضي الناس بسخط الله مثل
ان لا يامرهم بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير
اجرته والمراة مهرها سخط الله عليها واسخط عليه الناس **بيان العينين اللتين هما**
منشا شجرة الايمان واذا عرفت اصول شجرة الايمان وعلمت فروعها فاعلم ان هناك
عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاولى معرفة الدنيا وما هيتها
ولما وجد فيها الانسان اعلم ايها السلطان ان الدنيا منزلة وليست بدار
قرار والانسان فيها على صورة مسافر فاول منازله بطن امه واخر منازله لحد
قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الانسان

كالمرحلة وكل شهر بنقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره وكل اسبوع فكقرية
تلقاه في طريقه وكل يوم فكفرسخ يقطعه وكل نفس فكخطوة يخطوها وبقدر
كل نفس يتنفسه يقرب من الاخرة وهذه الدنيا قطر فمن عبر القنطرة و
اشتغل بعمارتها فيتي فيها زمانه وتبقى المنزلة التي اليها مصيره وهي مكانه وكان
جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذي لا يشتغل في دنياه الا بالاستعداد زاده لمعاده
ويكتفي منها بقدر حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا ويتمنى
ان تكون جميع خزاينه وساير ذخاير فاينة رمادا وترابا الا فضة وذهبا ولو جمع
مهما جمع فانما يصيبه ما ياكله ويلبسه لاسواه وجميع ما يخلفه يكون حسرة
وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فحلالها حساب وحرامها عذاب ان كان
قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب وان كان قد جمعه من حرام اوجب
عليه العقاب وكان اشد عليه من حسرة حلول العذاب به في حفرته واخرته
ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما لحضرة الديان فلا وجه
لياسه من الرحمة والغفران فان الله غفور رحيم جواد كريم • واعلم ايها
السلطان ان راحة الدنيا ايام قلائل واكثرها منغص بالتعب ومشوب
بالنصب وبسببها تفوت راحة الدنيا الاخرة التي هي الدايمة الباقية والملك
الذي لا يفنى ولا نهاية له فسهل على العاقل ان يصبر في هذه الايام القلائل
لينال راحة دايمة بلا انقضاء • لو كان لانسان معشوقه وقيل له ان كنت
في هذه الليلة تزورها فانها لا تعود تراها ابدا وان صبرت عنها هذه الليلة
سلمت اليك الف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه فان كان عشقه لها عظيما

وصبرة عنها اليما لكن يهون عليه صبرة على العبد عنها ليلة لينال قربها الف
ليلة ومدة الدنيا ليست واحدة من الف من مدة الاخرة بل ليست بشيء في
جنب الاخرة ولا نسبة بينهما لان الاخرة لانهاية لها ولا يدرك الوهم طولها
وقد افردنا في صفة الدنيا كتابا لكن نقتع الان بما نورده من احوال الدنيا
وقد اوضحنا حالها على عشرة المثال الاول في بيان سحر الدنيا قال النبي ع احذروا
الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت واول سحرها تريك كانها ساكنة
عندك مستقرة معك واذا تاملتها خلتها ساكنة وهي هاوية نافرة عنك
على الدوام وانما تتسلسل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا
كمثل الظل اذا رايته حسبته ساكنا وهو يمر دايما فكذلك عمر الانسان يمر
بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تدعوك وتهرب منك
وانت غافل لاتخبر وذاهل لاتشعر المثال الثاني انها تظهر لك محبة
لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لاتنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة
لك على غفلة ومثلها كمثل امراة فاجرة خادعة للرجال حتى اذا عشقوها
دعتهم الى بيتها فاغتالتهم واهلكتهم • راى عيسى ع الدنيا في مكاشفاته
وهي على صورة عجوز هرمة فقال ما تواعنك امر طلقوك فقالت بل انا قتلتهم
وافنيتهم فقال يا عجبا لها ولا لحمقا الاخرين الذين يشاهدون ما
بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون وبغيرهم لايعتبرون المثال الثالث
ومن سحرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي تحتها ومقابحها في باطنها
لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها

فقال لها ما كان لك كم زوج فقالت لا احصي كثرة

وتلبس احسن الثياب وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا
غطاها وخمارها والقوعنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من قبايحها
وعاينوا من فضايحها • وقد جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في
صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد قفرت عن
انيابها وكشرت عن اسنانها فاذا راها الخلايق قالوا نعوذ بالله منها
ما هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تتحاسدون
ولاجلها تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون ارحامكم و
تغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول الهي اين احبائي فيؤمر بهم
الى النار المثال الرابع ان يحسب الانسان كان من الازل قبل ان
يوجد في الدنيا وكم تكون مدته عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي
بين الازل والابد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم مثال الدنيا كطريق
المسافر اوله المهد واخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل
سنة كمنزله وكل شهر كفرسخ وكل يوم ميل وكل نفس خطوة وهو يسير
دايما دائبا فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولاخر اقل واكثر وهو قاعد
ذاهل ساكن غافل كانه مقيم لايبرح وقاطن لاينزح قد اشتغل بتدبير
اعمال لايحتاج اليها بعد عشرة سنين وربما حصل بعد عشرة ايام في التراب
المثال الخامس اعلم ان مثل الدنيا وما يحتقب اهلها فيها بشهواتهم
ولذاتهم من الفضايح التي يشاهدونها في الاخرة كمثل انسان اكل فوق حاجته
من طعام حلو سمين الى ان ساء هضمه وهاضت معدته فراى في صحفة من هلاك

معدته وسكونة نفسه وكثرة براز وحاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء
فضيحته فكذلك كلما الف الانسان لذات الدنيا كانت عاقبته اصعب وتبين
له ذلك عند نزعه وخروج روحه لا كمن كان له نعم كثيرة وذهب وفضة
وجواهر وجوار وغلمان وكرم وبستان كان الم فراق روحه عليه اصعب
من الم من ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب ولا يزول بالموت بل
يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت **المثال الثالث**
اعلم ايها السلطان ان امور الدنيا اولها يبداء بطلبها الانسان قريبة مختصرة
تخاف ان شغلها لا يطول وربما كان من بعض اشغالها واحوالها ان يتسلسل
منه مائة امر وينفق فيه بضاعة العمر قال عيسى ع م طالب الدنيا كشارب
ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا ولا يزال يشرب منه الى ان يهلك ولا يروى
قال ع م كما لا يمكن من خاض البحر ان لا يناله البلل كذا لا يمكن من دخل في امر
الدنيا ان لا يتدنس **المثال الرابع** مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي
الى مائدة وعادة المضيف ان يزين للاضياف داره ويدعوا اليها يوما بعد قوم
وفوجا اثر فوج ويضع بين يدي اضيافه طبقا من ذهب مملوا بالجواهر ومجمرة
من فضة فيها عود ولخور ليتطيبوا وليتبخروا وينالهم طيب رايحتها ثم يعاد الطبق
والمجمرة لحالهما الى اهلهما ليدعوا غيرهم كما دعاهم فمن كان غافلا عارفا برسم
الدعوات وضع من ذلك البخور وتطيب وانطلق ولم يطمع في ان يتناول
المجمرة والطبق وتركهما بطيبة نفس من قلبه وشكر لصاحبه البيت وربه
وانصرف راشدا ومن كان احمقا ابلها توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد اعد له

وانهم يريدون ان يهبوهما له فلما هم بالخروج من الدار اخذ الطبق والمجمرة
فاستعاد وهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة اذ ظهر ذنبه
فالدنيا كمثل دار الضيافة ليتزود وا فيها لطريقهم ولا يطمعوا فيما في الدار
المثال الثامن مثل اهل الدنيا واشتغالهم واهتمامهم باحوالها وبنيان الاخرة
وانهما كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء
الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح ينا ديهم لا تطيلوا المكث ليلا يفوت الوقت
ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فمضوا وتفرقوا في الجزيرة
وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا الى المركب
فوجدوا الاماكن خالية فجلسوا في اطهر اماكنه واوفقها واطيب مواضعه وارفقها
ومنهم قوم نظروا الى عجايب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها
واثمارها وروضها واشجارها ويستمعون ترنم طيورها ويتعجبون من خضرائها
الملونة واحجارها فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا راوا متسعا
فقعدوا في اضيق مواضعه واظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالتنزهة ولم يقصروا
على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة وحملوها معهم الى المركب فلم
يجدوا مكانا فقعدوا في اضيق المكان وحملوا ما استصحبوا من تلك الاحجار
على اعناقهم فلم يمض الا يوما او يومان حتى تغيرت الوان تلك الاحجار واسودت
وفاح منها اكره رايحة ولم يجدوا مخلصا من الرحام ليلقوا اثقالها عن اعناقهم
فندموا على ما فعلوا وحصلوا بثقل الاحجار على اعناقهم اذا كانوا بتحصيلها
اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجايب تلك الجزيرة وتحيروا في الرجوع لم يتفكروا

حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا في اماكنهم وتخلفوا اذ لم يصغوا الى المنادي
ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من اكلته السباع وناشته الضباع
فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون • والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون
الذين نسوا الله ونسوا الاخرة وسلموا كليتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال جل جلاله
الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وركنوا اليها • واما الجماعة المتوسطون
فهم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان ولكنهم لم يكفوا ايديهم عن الدنيا ومنهم من تمتع
مع فقره وحاجته الى ان ثقلت اوزارهم وكثرت اوساخهم واصارهم • •

المثال التاسع رَوى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ع قال يوما يا ابا
هريرة تريدان اريك الدنيا فقلت نعم فاخذ بيدي وانطلق حتى وقف بي
على مزبلة فيها رؤس الادميين ملقاة وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت
وتلوثت بنجاسات الادميين فقال يا ابو هريرة هذه رؤس الناس التي تراها
كانت مثل رؤسكم كانت مملوة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا
يرجون من طول الاعمار ما ترجون وكانوا يجدون في جمع المال وعمارة الدنيا
كما تجدون فاليوم تعرت اعظامهم وتلاشت اجسامهم كما ترى وهذه الخرق
كانت ثيابهم التي كانوا يتزينون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزين
فاليوم قد القتها الريح في النجاسات وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون
اقطار الارض على ظهورها وهذه النجاسات كانت اطعمتهم اللذيذة الذي كانوا
يحتالون في تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد القوا عنهم بهذه الفضيحة التي
لا يقربها احد من نتنها • فهذه جملة احوال الدنيا كما تشاهد وترى فمن اراد ان يبكي

على الدنيا فليبكي فانها موضع البكاء • قال ابو هريرة فبكا جماعة الحاضرين •

المثال العاشر كان في زمن عيسى روح الله ع ثلثة سايرين في الدنيا فوجدوا
كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحدا منا فليبتاع لنا طعاما فمضى ليبتاع لهم بطعام
فقال الصواب ان اجعل لهما في الطعام سما قاتلا ليأكلوه فيموتوا وانفرد انا بالكنز
دونهما ففعل ذلك وسم الطعام واتفق الرجلان اخران انهما اذا وصل اليهما بالطعام
قتلاه وتفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه واكلا من الطعام
فماتا فاجتاز عيسى ع بذلك المكان فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا
كيف قتلت هذه الثلثة وبقيت بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الدنيا •

العين الثانية في معرفة النفس اعلم يا سلطان العالم ان بني ادم طايفتان طايفة
نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتاميل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس
الاخير • وطايفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب اعينهم لينظروا الى ما ذا يكون
مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي يدخل
معهم من الدنيا في قبورهم وما الذي يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم
وباله ونكاله • وهذه الفكرة واجبة على جميع الخلق وهي على الملوك واهل
الدنيا اوجب لانهم كثيرا ازعجوا قلوب الخلق وانفذوا الى الناس الغلمان بالتلبيات
وازعجوا الخليقة وادخلوا في قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالى ذكره غلاما
يقال له عزرائيل يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد من مطالبته وتسبيبه وكل
موكلي الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكل لا ياخذ
سوى الروح جعلا وساير موكلي السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا

المؤكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع المؤكلين يمهلون من يؤكلون به اليوم
والساعة وهذا المؤكل لا يمهل نفسا واحدا وعجايب احواله كثيرة الا اننا نذكر
من احواله خمس حكايات ۞ الحكاية الاولى وهي ما رواه وهب ابن منبه وكان
علماء اليهود واسلم روي انه كان ملكا عظيما اراد ان يركب يوما في جملة اهل
مملكته ويري الخلايق عجايب زينته فامر امراه واسفهسلاريته بالركوب
ليظهر للناس سلطنته فامر باحضار افاخر الثياب وامر بعرض خيوله
الموصوف وعتاقه المعروفة فاختار من جملتها جوادا يوصف بالمشي والبشق
فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض الحصان بين عسكره
ويفتخر بتيهه وتختره فجاء ابليس فوضع فمه على منخره ونفخ هواء الكبر
في انفه فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء ويزهو
بالخيلاء ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يدي
رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض عنان فرسه فقال
الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد مسكت فقال لي اليك
حاجة فقال له اصبر الي ان انزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك
فقال اذكر حاجتك فقال انها سر لا اقولها الا في اذنك فاصغى بسمعه اليه
فقال انا ملك الموت اريد ان اقبض روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى
بيتي واودع اهلي واولادي وزوجتي فقال كلا لا تعود تراهم فانك ميت
قد فنيت مدة عمرك واخذ روحه على ظهر الفرس فخر ميتا فعاد ملك الموت
من هناك فاتى رجلا صالحا قد رضي ربه عنه فقال له لي اليك حاجة وهي

فقال الصالح قل حاجتك في اذني فقال انا ملك الموت فقال مرحبا بك الحمد لله
على مجيئك فاني كنت كثير الترقب لمجيئك ووصولك ولقد طالت غيبتك وكنت
مشتاقا الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغلا فاقضه قال فليس
شغل اهم من لقائي فقال كيف تحب ان اقبض روحك فاني امرت ان اقبض
روحك كيفما تريت واخترت فقال اتركني ريثما اتوضاء واصلي فاذا انا
سجدت فخذ روحي وانا ساجد ففعل ملك الموت ما امر ونقله الى
رحمة ربه الحكاية الثانية يروي انه كان ملك كثير المال قد جمع مالا
عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه
ويتفرغ لاكل ما جمعه فجمع بغما طايلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا شامخا يصلح
للملوك والامراء والاكابر والعظام وركب عليه بابين محكمين واقام عليه
الغلمان الاجلاد والحرسة والاجناد والبوابين كما اراد وامر بعض الايام ان
يصطنع له من اطايب الطعام وجمع اهله وحشمه واصحابه وخدمه
ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكا على وسادته وقال
يا نفس قد جمعت نعم الدنيا باسرها والان افرغي بالك وكلي هذه النعم مهنأة
بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى اتى رجل من
ظاهر القصر عليه ثياب خلقه ومخلاة في عنقه معلقة على هيئة سايل
يسأل الطعام فجاء وطرق خلقه باب القصر طرقة عظيمة هايلة فجعل
تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا
بالطارق وقالوا يا ضعيف ما هذا الحرص وسوء الادب اصبر الى ان ناكل

ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الي فلي اليه شغل مهم وامر ملم
فقالوا للشيخ ايها الضعيف من انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال انتم
عرفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وحردتم عليه وزجرتموه ثم
طرق حلقة الباب اعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من اماكنهم بالسلاح
ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت
قلوبهم وطاشت جلودهم وارتعدت فرايصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم
فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال انا اخذ الا لك ولا
اتيت الا لاجلك لا فرق بينك وبين النعم التي جمعتها والاموال التي قد حويتها
وخزنتها فنفس الصعداء وقال لعن الله هذا الذي غرني واضرني ومنعني
عن عبادة ربي وكنت اظن انه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي وخرجت
صفر اليدين منه وبقي لاعدائي فانطق الله تعالى المال حتى قال لاي سبب تلعنني
العن نفسك فان الله تعالى خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي
الى اخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتتركا على الضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد
والجسور والقناطير لاكون عونا لك في اليوم الاخر وانت جمعتني وخزنتني في
هواك انفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وانت تحسرك
وضر ايك فاي ذنب لي فتسبني وتلعني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل اكل
الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام الحكاية الثالثة قال يزيد الرقاشي كان
في بني اسرائيل جبار من الجبابرة وبينما هو في بعض الايام جالس على سرير مملكته
فراى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هايلة فلشدة

خوفه من مجومه وهيبته قد رمه ونبي في وجهه وقال له من انت ايها الرجل
ومن اذن لك في الدخول الى داري فقال امرني صاحب الدار وانا الذي لا يحجبني حاجب
ولا احتاج في دخولي على الملوك الى اذن ولا ازهب سياسة سلطان ولا يفزعني
جبار ولا لاحد من قبضتي فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت
الرعدة في جسده وقال انت ملك الموت فقال اقسم عليك بالله الا ما امهلتني
يوما واحدا لاتوب ذنوبي واطلب العذر من ربي واردّ الاموال التي اودعتها
خزايني الى اربابها ولا احتمل مشقة عذابها فقال كيف امهلك وايام عمرك محسوبة
واوقاته مثبوتة مكتوبة فقال امهلني ساعة فقال ان الساعات في الحساب
وقد عبرت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفيت انفاسك ولم
يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندي اذا نقلتني الى لحدي فقال لا يكون عندك
سوى عملك فقال ما لي عمل قال له فلا جرم يكون مقيلك في النار ومصيرك الى غضب
الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع ∴ وعلا الضجيج من اهل مملكته
وارتفع • ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم
اوفر الحكاية الرابعة يروي ان ملك الموت عم دخل يوما على سليمان ابن داود
عليهما السلام فجعل يحدّ بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمايه فقال ذلك النديم
يا نبي الله من كان هذا الرجل الذي دخل علينا فقال ملك الموت فقال اخاف انه
يريد قبض روحي فخلصني منه فقال كيف اخلصك فقال تأمر الريح ان تحملني هذه
الساعة الى اقصى بلاد الهند لعله يضل عني ولا يجدني فامر سليمان عم الريح فحملته
الى اقصى بلاد الهند في الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على سليمان عم

فقال له لاي سبب كنت تطيل النظر الي ذلك الرجل فقال كنت اتعجب منه لاني
امرت ان اقبض روحه بالهند وكان بعيدا عنها الى ان اتفق بحمل الريح له الى هناك
ما قدره الله سبحانه وتعالى الحكاية الخامسة يروي ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون
شيئا من اسباب الدنيا وقد حضروا قبور موتاهم على ابواب دورهم وهم كل وقت
يعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها
ومالهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذوا القرنين اليهم رجلا
يستدعي ملكهم فلم يجبه وقال ما لي اليه حاجة فجاء ذوا القرنين اليه وقال
له كيف حالكم فاني لا اري لكم شيئا من ذهب ولا فضة ولا اري عندكم شيئا من
نعم الدنيا فقال اري نعم الدنيا لا يشبع منها احد قط فقال لهم لم حفرتم القبور
على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد
حب الدنيا في قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تاكلون الحشيش
فقال لانا نكره ان يجعل بطوننا مقابر الحيوان ولان لذة الطعام لا يجاوز الحلق
ثم مد يده الى السماء فنهاه فحف راس ادمي فوضعه بين يديه وقال ايا ذا القرنين
تعلم ما كان من هذا قال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا
وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله
روحه وجعل النار مقره وهذا قحفه ثم مد يده ووضع قحفا اخر بين يديه
وقال له اتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته
محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع
يده على راس ذي القرنين وقال ترى اي هذين الراسين يكون هذا الراس

فبكا ذوا القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال ان رغبت في صحبتي فاني اسلم
اليك وزارتي واقاسمك مملكتي فقال ما لي في ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع
الخلق اعداك بسبب المال والمملكة وجميعهم اصدقائي لسبب القناعة والتعلقة
فالله معك فالان يجب ان تعلم حكايات النفس الاخير وتتدبرها وتتيقن
معرفتها وتتصورها وينبغي ان تعلم ان هذا الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون
استماع ذكر الموت ليلا يبرد حب الدنيا في قلوبهم وتنغص عليهم لذة ماكولهم ومشروبهم
وقد جاء في الخبر ان من اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة من رياض
الجنة ومن نسي الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر النار كان
رسول الله يصف يوما ثواب الشهداء واجر السعداء الذين قتلوا في معركة حرب
الكفار فقالت عايشة رضي الله عنها هل ينال مثل ثواب الشهداء من لم يمت شهيدا
فقال ع من ذكر الموت بكل يوم عشرين مرة كان له مثل اجر الشهداء ودرجتهم
وقال ع اكثروا من ذكر الموت فانه يمحوا الذنوب ويبرد حب الدنيا في القلوب
وسئل ع من احزم الناس واعقلهم فقال اعقل الناس اكثرهم للموت ذكرا واحزمهم واحسنهم له استعدادا له شرف الدنيا وكرامة الاخرة ومن عرف
الدنيا كما ذكرناه وكدر في قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه امور دنياه وقوي
اصل شجرة الايمان في قلبه واخذ في عملها الطالمون ويتفرق اهل الولايات ويتقرون
الى ولايات غيرها ويقع النقص في الملك ويقل في البلاد الدخول وتخلو الخزاين
من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يجبون جايرا ولا يزال دعاؤهم
عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه دواعي هلكته وقال مؤلف الكتاب

الظلم نوعان احدهما ظلم السلطان لرعيته وجور القوي على الضعيف والغني
على الفقير والثاني ظلمك لنفسك وذلك شؤم معصيتك فلا تظلم ليرفع
عنك الظلم كما جاء في الحكاية حكايه يقال انه كان في بني اسرائيل رجل يصيد
السمك ويقوت بصيده اطفاله وزوجته فكان في بعض الايام يتصيد فوقعت
في شبكته سمكة عظيمة ففرح بها وقال امضي بهذه السمكة الى السوق فابيعها
واخرجها في نفقة الاولاد فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع هذه السمكة
فقال الصياد في نفسه ان قلت له نعم اشتراها مني بنصف ثمنها فقال لا ابيعها
فغضب العواني وضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ السمكة منه
غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي خلقتني مسكينا ضعيفا وخلقته
قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه في هذه الدنيا فما اصبر الي الاخرة ثم ان ذلك
الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها
فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة مد يده ليأكل منها ففتحت السمكة
فاها ونكزت اصبعه نكزة سلبت قراره وازالت بشدة عضتها اصطباره
فقصد الطبيب وشكا اليه حاله وذكر له ما ناله فقال الطبيب ينبغي ان
تقطع هذه الاصبع لئلا يسري الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل
الوجع الى يده وازداد تألمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغي ان يقطع اليد
من المعصم لئلا يسري الالم الى الساعد فقطع يده فتوجع ساعده فقال
الطبيب ينبغي ان يقطع ساعده لئلا يسري الالم الى الكتف فقطع ساعده
فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا على وجهه داعيا الى ربه ليكشف ما قد

ترك به فراى شجرة فاتكى اليها فاخذه النوم فنام فراى في منامه قائلا يقول
له يا مسكين الى كم تقطع امضي وارضي خصمك فانتبه من نومه وتفكر فذكر
وقال انا اخذت السمكة غصبا واوجعت الصياد ضربا وهي التي لكزتني فنهض
وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة واعطاه
شيئا من ماله وتاب من فعاله فرضي عنه خصمه ففي الحال سكن المه
وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب واقلع عما كان يصنع ونام على توبة
خالصة ففي اليوم الثاني تداركه ربه برحمته وردّ يده كما كانت بقدرته
ونزل الوحي الى موسى ع م ان يا موسى وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضى
خصمه لعذبته مهما امتدت حياته • حكاية كان موسى ع م يناجي ربه
على الطور فقال في مناجاته الهي اريني عدلك وانصافك فقال له تعالى يا موسى
انت رجل حاد جري لا تقدر ان تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال
اقصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الي قدرتي وعلمي بالغيوب
فمضى موسى ع م وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد متخفيا فوصل الى العين فارس
ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا
فيه الف دينار ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم ركب ومضى
في موضعه وسار فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء واخذ الهميان ومضى
فجاء بعد الصبي شيخ اعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف في الصلاة فذكر الفار
الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى فلزمه وقال نسيت
هميانا فيه الف دينار في هذا الموضع في هذه الساعة وما جاء احد الى هذا

المكان سواك فقال انا رجل اعمى كيف ابصر هميانك فغضب الفارس من ذلك
وجذب سيفه وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه
ومضى فقال موسى ع الهي نفد صبري وانت عادل فعرفني كيف هذه الاحوال
فهبط جبرئيل ع وقال الباري جلت قدرته يقول لك انا عالم الاسرار اعلم
ما لا تعلم اما الصغير الذي اخذ الهميان فانه اخذ حقه وملكه وكان اب
هذا الصبي اجير لذلك الفارس واجتمع له عليه بقدرها في ذلك الهميان
فالآن وصل الصبي الى حقه • واما ذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى
قتل اب ذلك الفارس فقد اقتص ووصل كل ذي حق الى اهله وعدلنا
وانصفنا دقيق كما ترى فلما علم موسى ع ذلك تحير واستغفر وهذه الحكاية
اوردناه ليعلم العقلاء ويتصور الالباء ان الله لا يخفى عليه شيء وانه ينصف
المظلوم في الدنيا ونحن غافلون اذا جاءنا بلاء لا نعلم من اين جاء • سئل
ذو القرنين اي شيء من ممالكك انت اكثر به سرورا فقال بشيئين احدهما
احدهما العدل والانصاف والثاني ان اكافي من احسن الي باكثر من احسانه
وقال النبي ع ان الله تعالى يحب الاحسان في كل شيء حتى انه يحب انسانا
اذا ذبح شاة ان يمهي لها المدية ليعجل خلاصها من الم الذبح • وقال ابن
عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ع قال لم يخلق الله في الارض شيئا افضل من
العدل والعدل ميزان الله في الارض من تعلق به اوصله الى الجنة • •
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ع ان للمحسنين في الجنة
منازل حتى المحسن الى اهله واتباعه وقال قتادة في تفسير هذه الاية الا تطغوا

في الميزان قال اراد به العدل فقال يا ابن آدم اعدل كما تحب ان يعدل الله
فيك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله ع قال ان الله تعالى لما اهبط
آدم الى الارض وحي اليه اربع كلمات وقال يا آدم علمك وعلم جميع ذريتك
على هذه الكلمات الاربع وهي كلمة لي وكلمة لك وكلمة بيني وبينك وكلمة
بينك وبين الناس • واما الكلمة التي هي لك فاني اجازيك بعلمك واما الكلمة
التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة • واما الكلمة التي بينك وبين الناس
فهي ان تعدل فيهم وتنصف بينهم • قال قتادة الظلم ثلثة اضرب ظلم لا يغفر
لصاحبه وظلم لا يدوم وظلم يغفر لصاحبه • فاما الظلم الذي لا يغفر
لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما الظلم
الذي لا يدوم فانه ظلم العباد بعض لبعض • واما الظلم الذي يغفر
لصاحبه فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصي ثم يرجع الى ربه ويتوب
فان الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنته • الدين والملك
توأمان فينبغي ان يكون الملك دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل
اخوين ولدا في بطن واحد فيجب ان يهتم الملك بامور الدين ويؤدي
الفرايض في اوقاتها ويتجنب الهوى والبدعة والمنكر والشبهة وكلما يرجع
بنقصان الشرع وان علم ان في ولايته من يتهم في دينه ومذهبه فيلزم
باحضاره وتهديده وزجره ووعيده فان تاب واناب والا اوقع به
العقاب ونفاه عن ولايته ليظهر الولاية عن اغوائه وبدعته ويخلو امن
اهل الاهوية ويعز الاسلام ويستديم عمارة الثغور بانفاد العساكر والحماة

اليها ويجتهد في اعزاز الخلق ويحتاط في اعادة رونق السنة والنبوة والسيرة
المرضية ليحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم في القلوب هيبته وتخاف سطوته
اعداؤه ويعلو قدره ومنزلته وبهاؤه ويكبر في عيون اضداده ويعظم عند
انداده • وتجب ان تعلم ان صلاح الناس في حسن سيرة الملك فينبغي للملك
ان ينظر في امور رعيته ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها
ولا يشارك رعيته في الافعال المذمومة • وتجب عليه احترام الصالحين
وان يثبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الردي الوبيل ويعاقب على
ارتكاب القبيح ولا يخالي من امر على القبيح ليرغب الناس في الخيرات ويحذروا
من السيئات • ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن
فساده ويتركه على مراده افسد سايرامور ه في بلاده • وقال الحكماء ان
طباع الرعية نتيجة طباع الملك لان العوام انما يخلون ويركبون الفساد
وتضيق اعينهم اقتداء منهم بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم
الا ترى انه قد ذكر في التاريخ ان الوليد ابن عبد الملك من بني اميه
كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة • وكان سليمان ابن عبد الملك
همته في كثرة الاكل وتطييب الطعام وقضايه الاوطار وبلوغ الشهوات
وكانت همة عبد العزيز في العبادة والزهادة • قال محمد ابن علي ابن الفضيل
ما كنت اعلم ان امور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رايت الناس في ايام
الوليد ابن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين واهتموا ببناء
الدور وعمارة القصور • ورايتهم في زمان سليمان ابن عبد الملك قد اهتموا

بكثرة الاكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه اي لون اصطنعت
وما الذي اكلت • ورايتهم في ايام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا
لتلاوة القرآن واعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم ان في كل زمان تقتدي
الرعية بالسلطان ويعملون باعماله ويقتدون بافعاله من القبيح والجميل
واتباع الشهوات وادراك الارادات كما يقال حكايت ذكروا ان في زمن الملك
العادل كسرى انوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضى سريعا
الى البايع واخبره بذلك فقال انما بعتك ارضا ولا اعلم ما فيها والكنز الذي
وجدته فهو لك ومبارك عليك فقال لا اريده ولا اطمع في اموال الناس
فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل ففرح انوشروان بذلك وقال هل
لكما اولاد فقال احدهما لي ابن وقال الاخر لي بنت فقال انوشروان احب ان يكون
بينكما قرابة وصلة وان تزوجا الابن بالبنت وتنفقا هذا الكنز في جهازهما
ليكون الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما امرها وتراضيا بما رسم لهما الملك والان
لو كان الرجلان في زمن سلطان جاير لقال كل واحد منهما الكنز لي ولكنهما
لما علما ان مليكهما عادل طلبا الحق واثر الصدق • وقالت الحكماء الملك
كالسوق وكل واحد يجلب الى السوق ما يعلم انه نافق فيه غير كاسد وما يعلم
انه كاسد لا يجلب الى ذلك السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز ورافعا
الى السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان
وان الحق له عنده نفاق فلذلك حملاه اليه واعرضاه عليه اما الان وفي
هذا الزمان فكلما يجري على ايدي امرائنا والسنة ولاتنا هو جزاؤنا واستحقاقنا

فكما انا رديوا الاعمال قبيحوا الافعال ذوو اخيانة وقلة امانة فامر آنا ظلمة
جايرون وغشمة متعدون كما تكونوا يولي عليكم فقد صح بهذا الحديث ان افعال
الخلق عايدة الى افعال الملوك الا ترى انه اذا وصف بلد من البلاد بالعمارة
وان اهله في امان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عقل الملك
وحسن نيته مع رعيته وان ليس ذلك من الرعية فقد صح ما قاله الحكماء
ان الناس بملوكهم اشبه منهم بزمانهم وقد جاء ايضا في الخبر الناس على دين
ملوكهم وكان من سياسة انوشروان بحيث لو ان رجلا القي في مكان خلا
من ذهب وبقا مهما بقا في موضعه لم يقدر احد على ازالته من مكانه لاصالحه
وكان ثوبان وزير انوشروان فقال له يوما لا تكن موافقا للاشرار فتحرب
ولايتك وتقصر رعيتك فتصير رعيتك فتصير حينئذ مالك الخراب وسلطان
الفقراء ويقبح اسمك في الدنيا فكتب انوشروان الى عماله ان خبرت انه قد بقي في
مملكتي ارض خراب سوي ارض سبخة لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الولاية
وخراب الارض من شيئين احدهما عجز السلطان والثاني جوره وكان الملوك
في ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية ٭
حكاية ارسل ملك هندستان رسولا الى انوشروان وقال انا اولي بالملك
منك فانفذ لي خراج ولايتك فامر انوشروان بانزال الرسول ثم جمع في اليوم
الثاني ارباب دولته واعيان مملكته واذن للرسول في الدخول عليه فلما دخل
عليه ومثل بين يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم امر انوشروان باحضار
صندوق ففتحه واخرج منه صندوقا صغيرا واخرج منه قبضة من كبر

وسلمها الى الرسول وقال هل في ولايتكم شيء من هذا قال نعم هذا عندنا كثير فقال
له انوشروان ارجع وقل للملك الهند يجب عليك ان تعمر ولايتك فانها خراب
ثم تطمع في ولاية عامرة فانك لو وطئت جميع اطراف ولايتي وطلبت اصلا
واحدا من كبر لصلبت عامل تلك الولاية فيجب على الملك ان يسلك طريق
الملوك الذين تقدموا ويعمل على سنتهم في الخير ويقرأ كتب مواعظهم وصنايعهم
لانهم كانوا اطول اعمارا واكثر تجاربا واعتبارا وانهم فرقوا بين الجيد و
الردي وعرفوا الجلي والخفي وكان انوشروان مع حسن سيرته يقرأ كتب
المتقدمين ويطلب استماع حكاياتهم ويمضي على منهاجهم وسننهم وملوك
هذا الزمان اجدران يفعلوا ذلك حكاية سال انوشروان العادل يوما
لوزيره يونان وقال اريد تخبرني بسيرة الملوك المتقدمين فقال له يونان
تريدان امدحهم بثلثة اشياء امر بشيئين او بشيء واحد فقال امدحهم
بثلثة اشياء فقال يونان ما وجدت لهم في شغل من الاشغال ولا في عمل
من الاعمال قط كذبا ولا رايت لهم بشيء جهلا ولا رايت لهم في حال من الاحوال
غضبا فقال امدحهم بشيئين فقال كانوا يسارعون في اعمال الخير وكانوا ابدا
يحذرون من اعمال الشر فقال امدحهم بشيء واحد فقال يونان كانت
سلطنتهم وجراتهم على انفسهم اكثر من ما كانت على غيرهم فطلب انوشروان
الكاس وقال وهذا الكاس سرورا بالكرام الذين ياتون بعدنا ويملكون
تاجنا وتختنا وتذكرونا كما نذكر نحن من تقدمنا واشقى الناس من اغتر
بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدري كيف ينبغي ان يعيش فيها فيعبر دنياه بالتعب

ويحصل في الاخرة بالنعيم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصدا وليك الملوك
واجتهادهم في عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهور
كما جاء في الحكاية **حكاية** كان لانوشروان كرم يعرف بهزار كام فاجتمع يوما
فيه قيصر الروم وفغفور جين وملك هندوستان في ضيافة انوشروان
فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس بشيء في هذه الدنيا اجود
من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر به صاحبه دايما فيقال
بعده لم لا نكون نحن مثله فقال انوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر
في الخير فقال قيصر اذا تفكرت في الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد
فقال فغفور جين الله يبعد عنا فكرة ان ظهرت استحييت منا وان ذكرناها
حجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان اي شيء احب اليك قال
احب الاشياء الي ان اقضي حاجة من راني اهلا لقضاء حاجته فقال قيصر
انا احب ان لا اذنب حتى لا اخاف ملوكا يكون هذا حديثهم وكلامهم انظر
كيف كان سيرتهم مع رعيتهم • يا سلطان الاسلام يجب ان تسمع اقوال هؤلاء
الملوك وتنظر اعمالهم وتقرء حكاياتهم من الكتب وما سطر فيها من نعت
عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجاري على السنة
الخلق الى يوم القيامة • كان امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
من العدل والسياسة الى حد اقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات
وكان اذا انفذ عمالا الى عمال قال لهم اشتروا دوابكم واسلحتكم من ازرقكم
ولا تمدوا ايديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا ابوابكم دون ارباب الحوايج

قال عبد الرحمن ابن عوف دعاني عمر ابن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب
المدينة قافلة واخاف عليهم اذا ناموا ان يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه
فلما وصلنا قال لي انت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته • وقال عمر رضي الله
يجب علي ان اسافر لاقضي حوايج المسلمين في اقطار الارض لانهم ضعفاء لا يقدرون
على قصدي في حوايجهم لبعد المكان فينبغي ان اطوف في البلاد لاشاهد
احوال العمال واسير سيرتهم واقضي حاجات المسلمين فلا يكون في سني عمري
ابرك من هذه السنة **حكاية** قال زيد ابن اسلم رايت ذات ليلة عمر ابن
الخطاب يطوف مع العسس فتبعته وقلت اما ذن لي ان اصحبك فقال نعم
فلما خرجنا من المدينة راينا نارا من بعد فقلنا يكون هناك مسافر فقصدنا
النار فرأينا امرأة ارملة ومعها ثلثة اطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت
لهم قدرا على النار وهي تقول الهي انصفني من عمر وخذ لي منه بالحق فانه
شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر ذلك تقدم وسلم عليها وقال لها اتا
ذبين ان ادنوا اليك فقالت المرأة ان دنوت لخير فبسم الله فتقدم فسالها
عن حالها وحال اطفالها فقال وصلت وهؤلاء اطفال معي من مكان
بعيد وانا جايعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع
وقد منعهم عن الجوع فقال عمر واي شيء في هذه القدر فقالت تركت لهم
فيها ما اشاغلهم به ليظنوا انه طعام قال زيد فعاد امير المؤمنين وقصد
وكان يباع فيه الدقيق فابتاع منه ملاء جراب ومضى الى دكان قصاب
فابتاع منه دسما ووضع الجميع على كاهله وحمله يطلبه المرأة والاطفال

فقلت يا امير المؤمنين نا ولينه لاحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل
عني ذنوبي ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرءة علي وجعل يسعى ويبكي
الى ان وصلنا الى المرءة فقالت المرءة جزاك الله عني خيرا الجزاء فاخذ عمر جزء
من الدقيق وشيئا من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد النار وكلما اراد
ان تحمد تفخها وكان الرماد يسقط على وجهه ولحاسنه حتى انضجت القدر
فوضع الطبيخ في القصعة وقال للاطفال كلوا فاكلت المرءة والاطفال فقال
فقال عمر ايتها الامرءة لا تدعين علي عمر فانه لم يكن عندي منك ومن
اطفالك خبر • واول من دعي بامير المؤمنين عمر ابن الخطاب فان ابا بكر
رضي الله عنه دعوه بخليفة رسول الله فلما وصل الامر الى عمر كانوا يقولون
يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك فقال يا ايها المؤمنون سموني
اميرا فاني اميركم وان دعوتموني امير المؤمنين فانبي ذلك ابن الخطاب •
حكاية سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال فقال كان
في اول الامر اذا لم يكن له شيء يتقوت به اخذ قليلا برسم القوت فاذا
حصل عنده شيء له اعاده الى بيت المال • وخطب يوما فقال ايها الناس
قد كان الوحي ينزل علينا في عهد رسول الله فكنا نعرف به ظاهر الناس
وباطنهم وجيدهم ورديهم والان قد انقطع الوحي عنا فنحن نظهر
من كل احد الى علانيته والله اعلم بسريرته وانا على الجهد وعلى ان لا
نأخذ شيئا بغير حق ولا نعطي شيئا بغير حق فان شئت ان تعلم عدل الله
ونقيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره فانظر في اخبار عمر بن عبد العزيز

فانه لم يكن لاحد من بني اميه وبني مروان مثل مدحه ومحمدته ولا
يدعي لاحد من بني اميه وبني مروان سواه ولا يثني الا عليه لانه كان عادلا
تقيا كريما حسن السيرة نقي السريرة حكاية كان في عهد عمر بن عبد العزيز
قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب واختاروا رجلا منهم لخطابه فقال
ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست
جلودنا على اجسادنا لفقد الطعام وراحتنا في بيت المال وهذا المال
لا يخلوا من ثلثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله او لك فان كان
لله فان الله غني عنه وان كان لعباد الله فانهم اياه وان كان لك فتصدق
به علينا ان الله يجزي المتصدقين فتوغرت عينا عمر بن عبد العزيز
بالدموع وقال هو كما ذكرت وامر ان تقضى حوايجهم من بيت المال فهم
الاعرابي بالخروج فقال له عمر ايتها الانسان كما اوصلت حوايج عباد
الله الي واسمعتني كلامهم فاوصل كلامي وارفع حاجتي الى الله فحول الاعرابي
عرابي راسه ووجهه قبل السماء وقال الهي بعزك وجلالك اصنع مع عمر
بن عبد العزيز كصنيعه في عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم
فامطر مطرا عزيزا وجاء في المطر بردة كبيرة فوقعت على اجرة فانكرت
فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براة من الله العزيز لعمر بن عبد
العزيز من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا في قصص
الرعية ونار مجاورهم في ضوء السراج فجاء غلامه له فحدثه في مغيبي سبب
كان يتعلق ببيته فقال له عمر اطفا السراج ثم حدثني لان هذا الدهن

من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا في شغال المسلمين هكذا
يكون حذر السلطان وتقواه وتوقيه اذا كان عادلا كما جاء في الحكاية
حكاية كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان حارسا لبيت المال وكان لعمر
ثلاث بنات فجيئه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية
وبناتهم يلبسن ويقلن انتن بنات امير المؤمنين ونراكن عريانا اقل من
ثياب بيضاء تلبسنها ويكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الحارس
وقال اعطني مشاهرتي لشهر واحد فقال الخازن يا امير المؤمنين تأخذ
المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر شهر فخذ مشاهرة
شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت ايتها الغلام بارك الله فيك ثم قال لبناته
اكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها احد بغير مشقة لما كان لا
كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم • والعدل التام هو ان
يساوي بين المجهول الذي لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه
المعروف في مقام في الدعاوي وينظر اليهما بعين واحدة في الدعاوي
ولا يفضل احدهما على الاخر لاجل ان احدهما غني والاخر فقير فان الجوهر
والخزف في الاخرة بسعر واحد ولا يحرق عاقل نفسه بالنار لحشمة
الاغنياء • واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى
فينبغي ان يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى فينصف ذلك
الضعيف ويرضيه ولا يحيف ولا يستحي من الحق ويعمل بقول الله عز وجل
ان الله يأمر بالعدل والاحسان • وحقيقة ذلك ان كان للملك على احد

حق ان يسامحه ويمن عليه ويأمر عماله الثقات ان يقتدوا بمثاله ويعملوا
بسيرته لئلا يسئل عن رعيته يوم القيامة • فقد جاء عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال كل راع يسئل عن غنمه وكل سلطان يسئل عن رعيته والحال
على هذه الصفة لتعلم ذلك حكاية يقال ان اسماعيل ابن احمد امير خراسان
نزل عمرو وكان رسمه في كل موضع ينزله ان يأمر المنادي ان ينادي في
العسكر ان الجند ما لهم مع الرعية شغل فمضى رجل من الخربندية في جملة
اصحابه فدخل مطبخه وتناول من البطيخ قدر ايسير فجاؤا الى باب الملك واشتغلوا
فامر الامير باحضاره فاحضر بين يديه فقال له لك علينا اجرة ام لا قال
بلى قال فما سمعت المنادي فقال قد سمعته قال فلاي سبب اذيت رعيتي
فقال اخطأت فقال انا لا اقدر لاجل خطائك على دخول النار وامر به
فقطعت يده حكايت ويحكي عن اسماعيل الشامياني في كتاب سير الملوك
انه كان ينزل بحوامولیان وكان كل وقت يصل الى مدينه كندر يأمر المنادي
ان ينادي وقت العصر ان ينادي في الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب
ويريح البواب ليجيء كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه و
يعود مقضي الحاجة وكان يقضي بين الخصوم مثل الحكام الى ان يفني الدعاوي
ثم يقوم من موضعه ويقبض على محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو
السماء ويقول الهي هذا جهدي وطاقتي قد بذلته وانت عالم الاسرار
تعلم علانيتي ولا اعلم على اي عبد من عبيدك اجتفت او لاي عبد ظلمت
وما انصفت انا او احد من اصحابي فاغفر لي يا الهي من ذلك ما لا اعلم فلما كان

تقي النية جميل الطوية لاجرم علا امره وارتفع قدره وكان عسكره الف
فارس معتدين بالسلاح مقنعين بالحديد ببركة ذلك العدل والانصاف
ظفره الله بعمرو ابن ليث انفذ اليه من السجن وقال له بخراسان اموال كثيرة
وكنوز موفورة وانا اسلم اليك الجميع فاطلقني من السجن فلما سمع اسماعيل
ذلك انضحك وقال لي الان لم يستقم معي عمرو ابن ليث يريدان يجعل
المظالم التي احتقبها والمآثم التي ارتكبها في عنقي ويتخلص من ثقل وزرها
في الاخرة قولوا له ما لي في مالك حاجة واخرجه من السجن وانفذه الى بغداد
فنال من امير المؤمنين الخلع والتشريف وجلس اسماعيل في مملكة خراسان
امن البال حسن الحال وبقيت المملكة في عصر الساسانية مائة وثلاثين سنة
فلما انتقل الامر الى اصاغرهم وصبيانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق قال ملكهم
قال رسول الله ﷺ عدل السلطان يومًا واحدًا خير من عبادة سبعين
سنة • وقال ﷺ نصفة المظلوم زكاة العقل • قال ﷺ من سل سيف الجور
سل عليه سيف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر شعر •

تقطب منك طلق الوجه يومًا • ترى بالعدل من جور جزاء
فقل للناس ما تهوى استماعًا • ولا تقتل ان اختارت البقاء

جاء في الخبر ان داود ﷺ كان ينظر يومًا الى السماء فراى شيئا مثل النخالة
ينزل من الهواء فقال الهي ما هذا فاوحى الله اليه هذه لعنة انزلها على بيوت
الجبارين الجائرين حكايت لما قعد انوشروان في المملكة كتب اليه يونان
الوزير فقال اعلم ايها الملك ان امور الملك على ثلثة اشياء اما ان ينصف رعيته

ولا ينتصف منهم فذلك فضل وهذه الدرجة العليا او ينصف وينتصف
او لا ينصف وهذه درجة الجور السفلى فانظر ايها الملك الى هذه الثلثة
واختر ايها شئت وانا اعلم ان الملك يختار الاولى كما قال الشاعر شعر •

من انصف الناس ولم ينتصف • بفضله منهم فذاك الامير •
ومن لم يرد انصافهم مثلما • انصف اضحى ماله من نظير •
ومن يرد انصافهم وهو لا • ينصفهم فهو الدني الحقير •

نصيحة وموعظة دخل شبث ابن شبه يومًا على المهدي فقال له
يا امير المؤمنين ان الله ﷻ قد اعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا من طيب
عيشك فقال المهدي وما الذي ينبغي ان تعطي الرعية فقال العدل فانه
اذا نامت الرعية في امن منك نمت امنًا في قبرك وقال احذر يا امير المؤمنين
من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك
تجازي بالعدل عدلًا وبالجور جورًا وزين نفسك بالتقوى فان في الحشر
لا يعرك احد زينة كقول الشاعر شعر فحل نفسك بالحسنى وزينتها

فلن تعار تقى في الحشر من رجل • وليس تبلى يد المعروف فاخطبها
ترنحون كثيرًا وراس المال لم يزل •

وصل كتاب من قيصر ملك الروم
الى انوشروان يقول بما ذا يكون دوام المملكة فكتب اليه جواب ذلك
اني لا ارسم شيئًا لجهالة واذا امرت بامر اتممته ولا اتركه لخوف ولا لرجاء
يريد اني اذا امرت بشيء لا ابطله لاجل من رجاني او خافني واني لا امر
شيئا امرت به • سئل ارسطاطاليس هل يجوز ان يدعى احد ملكًا غير الله

فقال من وجد فيه هذه الخصال وان كانت عارية • العلم • والعدل • والسخاء
والحلم • والرافة • وما ناسبها لان الملوك كانوا ملوكا بالظل الالهي وضيآء
الحسن بطهارة النفس وتزايد العقل والعلم وقدم الدولة وشرف الاصل
وللدولة التي كانت في محتدهم واصولهم فبذلك كانوا ملوكا وسلاطينا
ومعنى قولهم فرانردي وهو الظل الالهي يظهر في ستة عشر شيئا • العقل •
والعلم • وجدة الذكاة • وادراك الاشياء • والصور التامة • والالمعية •
والفروسية • والشجاعة • والاقدام • والتاني • وحسن الخلق • وانصاف
الضعيف • ومحبة الرعية • واظهار الزعامة • والاحتمال • والمداراة
في مكانها • والراي والتدبير في الامور • والاكثار من قراءة الاخبار
وحفظ سير الملوك • والفحص عن الاحوال • والاعمال التي اعتمدها الملوك
وعملوا بها لان هذه الدنيا بقيته دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا
وانقرضوا وصاروا تذكارا للناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز
وللاخرة كنز فكنز هذه الدنيا الثناء وطيب الذكر وكنز الاخرة العمل
الصالح والكتاب الاجر حكمة سال الاسكندر لارسطاطاليس ايهما
افضل للملوك الشجاعة ام العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان
لم يحتج الى الشجاعة حكمة كان الاسكندر بعض الايام قد ركب في
جماعة اهل موكبه فقال له رجل من مقدمي عساكره ان الله قد اعطاك
ملكا عظيما فاستكثر من النساء ليكثر اولادك فتذكرهم بعد موتهم فقال
الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد ولكن بحسن السيرة وعدل

السنة ورجل غلب رجال الدنيا لايجوز ان تغلبه النساء حكايت
عزل الاسكندر غلاما من عماله عن عمل كبير خطير وولاه امر عمل اخير
حقير فاتى ذلك الرجل بعض الايام الى الدركاة فقال له الاسكندر كيف
تجد عملك فقال اطال الله بقاك الرجال لاتشرف بالاعمال بل الاعمال
تشرف بالرجال وذلك لحسن السيرة والانصاف وافاضة العدل
وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله واعاده الى اعماله ••
حكمة قال سقراط العالم مركب من العدل فاذا جآء الجور لايثبت
ولايستقر حكمة وسئل برزجمهر فقال باي شئ يظهر عز الملك فقال
بثلثة اشياء حفظ الاطراف مع دفع العدو عن الحوزة واكرام العلمآء
واعزازهم وحب اهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف اهل الاطراف
وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لاتساغ واذا كانت النعم قليلة
ساغت مع الامن كما جآء في الحكايات حكاية يقال انه انقطع رجل
من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع في الرمل فجعل يسير الى ان وصل
الى خيمة فراى في الخيمة امرة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا نايما فسلم الحاج
على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز امض الى ذلك الوادي و
اصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوي لك منها واطعمك فقال
الرجل انا لا اجر اصطاد الحيات فقالت انا اصطد معك فلا تخف فمضيا
وتبعها الكلب فاخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فاتت العجوز وجعلت
تشوي الحيات فلم ير الحاجي بدا من الاكل وخاف ان يموت من الجوع والهزل

فاكل ثم انه عطش فطلب منها الماء فقالت دونك والعين فاشرب فمضى الى
العين فوجد ماء مرا مالحا ولم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الى العجوز وقال
اعجب منك ايتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان واعتدائك بهذا الطعام
فقال العجوز كيف تكون بلادكم فقال يكون في بلادنا الدور الرحيبة الواسعة
والفواكه اليانعة والمياه العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم
الكثيرة والعيون الغزيرة فقالت العجوز وقد سمعت هذا كله فقل لي هل تكونون
تحت يدي سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب اخذ اموالكم واستأهل
اخوالكم واخرجكم من بيوتكم واملاكم فقال قد يكون ذلك فقالت اذا
يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلو العجيبة مع الجور
والظلم سما ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن درياقا نافعا اما سمعت ان
اجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن فالامن يكون من سياسة
السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة وان يكون مع السياسة
لان السلطان خليفة الله ان تكون هيبته بحيث اذا راته الرعية خافوا
ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان يجب ان تكون له اوفى سياسة
واتم هيبته لان اناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا
هذا زمان ذوي الوقاحة والسفهاء واهل القساوة والشحناء واذا كان
السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفا وكان غير ذي سياسة فلا شك
ان ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا
وفي الامثال جور السلطان مائة سنة وجور الرعية بعضهم على بعض سنة

واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جايرا وملكا قاهرا
كما جاء في الحكاية حكايت اعطى الحجاج ابن يوسف يوما قصة فيها
مكتوب اتق الله ولا تجر على الناس كل هذا الجور فرقا الحجاج المنبر وكان
فصيحا فقال ايها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان انا مت لا تخلصون
انتم من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان الله تعالى امثالي كثيرا واذا لم اكن
انا كان من هو اكثر مني شرا شعر وما من يد الا يد الله فوقها
ولا ظالم الا سيبلى بظالم ٭ وسئل برزجمهر اي الملوك افضل واطهر
فقال من امنه الطاهرون ٭ وخاف منه الخاطئون ٭ واما السلطان الذي
لا سياسة له فليس له في اعين الناس والرعية خطر ويكون الخلق عليه
ساخطين ويذكرونه كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا كان
من عوام الولاية وتولى عليها واراد ان يطلب الحساب من الرعية اول
ما يكلمهم بالهيبة ويظهر لهم جاهه بالسياسة اولا لعلمه ان الرعية
ينظرونه بالعين الاولة وفي هذا الباب حكاية عجيبة حكايت ٭
كان لابي سفيان ابن حرب ولدا وكان يدعى بزياد ابن ابيه لانه كان
قد ولد في الجاهلية ونفاه وتبرء منه ابو سفيان وقال ما هو لي بولد
فلما وصل الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق فلما
وصل زياد الى عمل العراق وجد اهل العراق يوما غائبين يفسدون ويسرقون
فقصد زياد المسجد الجامع ورقا المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد
خطبته والله لئن خرج احد بعد العشاء الاخيرة من منزله لاخذن

راسه فليعلم الشاهد الغايب ثم امر منادیا ينادي بذلك ثلثة ايام
فلما اقبلت الليلة الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل
يطاف البلد فراي رجلا اعرابيا ومعه غنم له وهو قايم فساله زياد ما تصنع
ههنا فقال الاعرابي ايت مساء ولم اجد موضعا استقر فيه فنزلت مكاني
الى ان اصبح وابيع غنمي فقال له زياد انا اعلم انك صادق وان الطقتك
خفت ان يذيع الخبر عني ان زيادا يقول ولا يفعل فتفسد سياستي وتنكسر
هيبتي والجنة خير لك من ههنا وضرب عنقه ثم جعل يسير فكل من لقيه
ضرب عنقه وخر راسه فلما اصبح من الغد كان قد اخذ الف وخمسمائة
رجل وجعلها على باب داره مثل البيدر فتهوله الناس وجزعوا مما راوا
من فعله فلما كان الليل خرج وطاف فلقي ثلثمائة رجل اخذ روسهم
فلم يقدر بعد ذلك احد ان يخرج من منزله بعد العشاء الاخرة فلما كان
يوم الجمعة رقا المنبر وقال لا يغلقن احد منكم منزله بالليل ولا باب
دكانه ومهما سرق منكم كانت غرامته علي فلم يجسر احد ان يغلق
في تلك الليلة دكانه فلما كان من الغد اتاه رجل صيرفي وقال له قد سرق
مني البارحة اربعمائة دينار فقال له اكتم هذا الامر ولا تشعرن به احدا
فلما كانت الجمعة الثانية واجتمع الناس للصلاة صعد زياد المنبر
وقالوا علموا انه قد سرق من دكان فلان الصيرفي اربعمائة دينار
عيننا وانتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله
وان لم تردوه فقد تقدمت ان لا تخرج احد منكم من الجامع وامر بقتلكم

في هذه الساعة ففي الحال لزموا من كان يتهمونه بالسرقة وقدموه بين يديه
فرد الذهب الذي سرقه فامر بصلبه في الحال ثم انه سال اي محلة بالبصرة ليس
فيها امن فقالوا محلة بني الزرد فامر ان ينزل فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة
ثقيلة بحيث لا يراه احد فبقي اياما ملقى بحاله ولم تكن لاحد مرارة ان يقربه
ولا ينقله من مكانه فقال له اقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء
الا انك لم ترحم المسلمين اولا واهلكت خلقا كثيرا عظيما فقال قد اخذت
الحجة عليهم قبل ذلك بثلثة ايام ومن شوم اعمالهم لم ينتهوا والدنيا ضاحكة
من شوم اخلاقهم **فصل** ولا ينبغي للسلطان ان يشتغل دايما بلعب الشطرنج
والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد لان هذه تمنعه وتشغله عن الاشغال
ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الربح خسرانا والسرور احزانا فان الملوك
القدماء قسموا النهار اربعة اقسام منها قسم لعبادة الله وطاعته وقسم
للنظر في امور السلطنة وانصاف المظلومين والجلوس مع العلماء والعقلاء
لتدبير الامور وسياسة الجمهور وتنفيذ المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ
الرسل • وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا واخذ الحظوظ من الفرح و
السرور • وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان وما اشبه ذلك ويقال ان
بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففي الاول كان يقضي اشغال
الناس • وفي الثاني كان يطلب الراحة ويقال انه في جميع ايامه ما
اشتغل يوما تاما بعمل واحد • وكان انوشروان العادل يامر اصحابه ان يصعدوا
الى اعلا مكان في البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لا يخرج منه دخان

نزلوا وسألوا عن احوال اولئك القوم وما خطبهم فان كانوا في غم اعملوا انوشروان
فكان يجعل عنهم ويزيل همومهم • ويجب على السلطان ان لا يرضى لعلمائه ان لا
يتناولوا شيئا من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية حكاية يقال انه كان
قد ولي نوشروان العادل غلاما فانفذ اليه العامل زيادة ثلثة الف درهم
فامر انوشروان باعادة الزيادة على اصحابه وامر بصلب العامل • وكل سلطان
اخذ من رعيته شيئا بالجور والغصب وخزنه في خزانته كان مثله كمثل رجل عمل
اساس حايط ولم يصبر عليه حتى تجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق
الاساس ولا الحايط • وينبغي للسلطان يهتم بامور الدنيا كما يهتم باخذ ما ياخذه
من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين
حدا وقدرا كما جاء في الحكاية حكايت يقال ان المامون ولي يوما اربعة
نفر اربع ولايات فاعطى احدهم منشورا بخراسان واعطاه خلعة بثلثة الاف
دينار • واعطى اخر منشورا بخورستان واعطاه خلعة بثلثة الف دينار • وولي
الاخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلثة الاف دينار • وولي
الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلثة الاف دينار • ثم استدعى موبدموبدان
وقال له يا دهقان هل اعطى ملوك العجم في ايام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع
فانه بلغني ان خلعهم ما كانت تبلغ اكثر من اربعة الاف درهم فقال الموبد
اطال الله بقاء الملك كان ملوك العجم ثلثة اشياء ليس لكم احدها انهم كانوا
ياخذون ما ياخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثاني انهم كانوا
ياخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى • الثالث

انهم ما كانوا يخافهم الا المذنب فقال له المامون صدقت ولم يرد عليه جوابا
ولاجل هذا فتح المامون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر
سخنة وجهه وهي بمانها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تمزقت ولا طقت
والخاتم في اصبعه فصه من ياقوت احمر كثير الثمن ما راى المامون قبله
فصا مثله وكان على فصه مكتوب به منه نه منه به معنى ذلك
الاجود اكبر ليس الاكبر اجود • فامر المامون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب
وكان مع المامون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به
المامون فلما علم به امر باهلاكه • واعاد الخاتم الى اصبع انوشروان وقال كاد
يفضحني بحيث يقال عني الى يوم القيامة ان المامون كان نباشا وانه فتح
قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه حكايت سال الاسكندر يوما جماعة
من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال اوصوا لي سبيلا من الحكمة احكم
فيه اعمالي واتقن به اشغالي فقال كبير الحكماء • ايها الملك لا تدخل قلبك
محبة شيء ولا بغضه لان القلب خاصية كاسمه وانما سمي قلبا لتقلبه
واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا • واجتهد ان تكون
في ليلك متيقظا ولا تسرع في امر بغير مشورة • وتجنب الميل والمحاباة في
وقت العدل والانصاف • فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت
باختيارك • وينبغي ان يكون الملك حليما وقورا وان لا يكون طايشا عجولا
قال الحكماء ثلثة اشياء قبيحة وهي في ثلث اقبح • الحدة في الملوك • والحرص
في العلماء • والبخل في الاغنياء حكمة كتب الوزيريونان الى الملك

العادل كسري وصايا ومواعظ فقال منها ينبغي يا ملك الدنيا ان يكون معك
اربعة اشياء دايما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغي ان تنفي عنك
اربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة وقال
اعلم يا ملك الدنيا ان الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين ياتون
بعدك لم يصلوا فاجتهد ان تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبيك و
مشتاقين اليك **حكايه** يقال ان انوشروان ركب في بعض الايام في الربيع
على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة ويشاهد الثمرة وينظر الى الكروم
العامرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا واضعا خده على التراب
زمانا طويلا فلما رفع راسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل
الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمسة لله الذي
قد اظهر حسن نيتنا في ساير الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في بعض الاوقات
حكايه يقال ان انوشروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره
خلف صيد فراى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى
باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته وعادت الى البيت
فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء
و وضعته في قدح وسلمت القدح الى انوشروان فنظر في القدح فراى فيه
ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى الى اخره وقال للصبية شاد
باش نعم الماء كان لولا ذلك القذى الذي كدره فقالت الصبية يا سرهنك انا
عمدا القيت فيه القذى قال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رايتك

شديد العطش فلو لم يكن في الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة
وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها
ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم قصبة عصرت ذلك
الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج تلك الناحية
فراى خراجها قليلا فتفكر في نفسه وقال قرية يكون في قصبة واحدة
منها هذا السكر ويكون هذا الخراج خراجها فجعل في نفسه انه اذا عاد
امر بان يزاد خراجها عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز
على ذلك الباب منفردا وطلب ماء فخرجت الصبية بعينها فراته فعرفته
فعادت لتخرج له الماء فابطات عليه فاستعجلها انوشروان وقال
لاي شيء ابطات فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة
قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلث قصبات وما خرج منها مثل ما
كان يخرج من قصبة واحدة فقال انوشروان ما سبب هذا العجز فقالت سببه
تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت
بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك انوشروان وازال عن نفسه ما كان قد اضمره
لهم وتزوج تلك الصبية حالا لاعجابه من ذكائها **حكمة** يقال ان الصادقين
من الناس ثلثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكران مجنون
لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في
سكر الغفلة دايما **كما قال الشاعر** من اسكرته الخمر في سرعة
فما عليه ان صحا من خجل ومن يكن بالملك ذا سكرة يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة
وامينا وكان جليسه نصوحا معينا • وعلامة سكر السلطان ان يسلم
وزارته الى محتاج معوز ثم يستديمه ويتمسك به الى ان تزول حاجته
وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربي طفلا
صغيرا الى ان يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم يقتله
ويستاصله • وقيل ان اربعة اشياء على الملوك من الفرايض وهي ابعاد
الادنياء عن مماليكهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء • وحفظ آراء المشايخ
واولي الحنكة والتجربة والزيادة في امر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة
لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري ان اعني باصحابك
فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك • واما طالب الاخرة فلا يزيغ
فيك • ولا يجوز للسلطان ان يسلم وزارته ولا عملا من عماله الى من ليس
لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد افسد مملكته واهمل امره
واخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر
البيت لما خان منه خرابه • ظهر الخلل من اساس الحايط • واذا تولى الملك عن ارتياب
ولى الامور لكل قوم ساقط • ينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر
اذا خدمت الملوك فالبس من التوقي اعز ملبس • وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما اخرجت اخرس
ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغي لا
نبساط عليهم في خدمتهم كقول الشاعر لو انك للسلطان نخل فداره
وخف منه ان اجبت راسك سالما • ومثل الذي يبسط مع السلطان كمثل

الحوا الذي يكون دهره مع الحيات ياكل ويقوم معها ويقعد معها وكرجل
في البحر بين التماسيح التي تبلغ الادميين فلا يزال بروحه مخاطرا حكمة
قال الحكيم ويل لمن ابتلي بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة
ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يجابون احدا الا من كانوا محتاجين
اليه لعلمه او لشجاعته فاذا اخذوا حاجتهم منه لم يبق لهم عندهم مودة
ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء واكثر اشغالهم ويستصغرون كبار ذنوبهم
ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم • ويستحقرون في العقاب ضرب الرقاب
ويستعظمون في العتاب رد الجواب • قال سفيان لا تصحب السلطان واياك
وخدمته لانك ان كنت له مطيعا اتعبك • وان خالفته قتلك واعطبك
ولا ينبغي لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جوار كما جاء في الحكاية •
حكايه يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده في وقت لم يكن
لاحد اذن في الدخول فقال شهريار امض واضرب الحاجب الفلاني ثلثين
خشبة واطرده عن الدركاة واقم موضعه فلان الحر وكان يزدجرد ثلثة
عشر سنة حينئذ فعلم ذلك الحاجب الحر لم ابعد الاول عن الباب فعاد
بعض الايام يزدجرد واراد ان يدخل على والده فجعل الحاجب يده على صدره
ورده على عقبه وقال له ان عدت رابتك بعدها ههنا ضربتك ستين سوطا
ثلثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك في غير وقت الاذن
وان كنت ولده لئلا تجلب الضرب والهوان واصلح الاشياء للملك ان لا يباشر
الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا من الارواح يتعلق بروحه

وصلاح الرعية في حياته وكذلك ينبغي ان لايجور على نفسه ليلا يجور على
جميع الخلق ولايجوز للملك ان يجازف في الاشغال ولايتساهل في الاعمال
ويجب ان ينيم كل ليلة على فراشه غيره ويتحول بنفسه الى غير ذلك المكان
حتى ان قصد عدوه اتلاف نفسه وجد غيره في مكانه فلا يصل عدوه اليه
كما جاء في الحكايه **حكايت** يقال انه انهزم خسرو بزمن بهرام چوبين
وقال هربت وان كان الهرب عيبا لاخلص بهربي ارواح جماعة من اصحابي
لاني ان هلكت هلك بسببي الوف من الخلايق والمقصود من هذا المقال
ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح العقل وغافل والملوك
مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولايجوز الاحتمال والتغافل عن اناس السوء
ففي امثال العرب العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة وهذا
المثل يضرب فيمن له اصل وفيمن لا اصل له وقد كان للناس وقت وزمان
يؤمن فيه رجل واحد جميع اهل الدنيا ويحرم بدرة كان يحملها على عاتقه
وهو عمر بن الخطاب والفضل في ذلك الوقت كان للزمان والرعية فاليوم
لو عوملت هذه الرعية بتلك المعاملة لم تحتملوا ولبدا منهم الفساد لكن
ينبغي ان يكون السلطان هذا الوقت اتم سياسة وهيبة ليشتغل كل
انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض ونحن الان نورد خبرا
في هذا الباب ليستفيد به القاري والسامع **خبر** امير المؤمنين
علي ابن ابي طالب وكرم الله وجهه فقيل له لاي شيء لاتنفع الموعظة
هؤلاء الناس فقال الخبر معروف ان رسول الله ﷺ لما اوصى عند وفاته

اشار بثلاث اصابعه وقال بطرف لسانه ولاتسلوني عن اوليك فقال الصحابة
ان ذلك اشارة الى ثلثة اشهر وقال قوم ثلث سنين وقال قوم ثلثين
سنة وقال قوم ثلثمائة سنة فلاتسلوني عن حال تلك الرجال فاذا قال النبي
لاتسلوني عن اولئك فكيف تنفع الموعظة فيهم وسئل عن مثل هذا السؤال
فقال كان الناس في ذلك الزمان نياما وكان العلماء ايقاضا واليوم العلماء
نيام والخلق موتى فاي نفع لكلام النايم عند الميت آما زماننا هذا فهو
الزمان الذي قد هلك فيه الخلايق جميعهم وقد خبثت اعمال الناس ونياتهم
واذا لم تكن بينهم سياسة السلطان ولاهيبته لم يثبتوا على الطاعة والصلاح
قال رسول الله ﷺ العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوم الخاص والعام
وبه يكون خير الرعية وامنهم وعافيتهم وكل الاعمال تزن بميزان العدل
قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعني به العدل وقال في موضع
آخر الذي انزل الكتاب بالحق والميزان واحق الناس بالجاه والمملكة من كان
قلبه مكانا للعدل وبيته مقرا لذوي الدين والعقل ورايه خزانة
ارباب العلم والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع اولي الآراء **كما قال**
الشاعر يده خزانة جوده والقلب خازن فضله قد رتبتا بوابه ابدا بباب عدله
قال الحسن البصري كل ملك عظم امر الدين كان عند رعيته عظيم الامر
ومن عرف الله تعرف للخلق به واختاروا ان يكونوا معارفه **كما قال الشاعر**
من عرف الله تعالى اسمه اثر كل الخلق عرفانه طوبى لمن اول ما اختاره معرفة الخالق سبحانه
قال بزرجمهر لاينبغي للملك ان يكون في حفظ مملكته اقل من البستاني في حفظ

بستانه فاذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعجل في قلع الحشيش ليلا
يضبط اماكن الريحان **حكمة** قال افلاطون علامة السلطان المظفر على اعدائه
ان يكون قويا في نفسه لازما لصمته مفكرا في آرائه وتدبيره بقلبه وان يكون
عاقلا في ملكه شريفا بنفسه حلوا في رعيته رفيقا في ما يراعماله مجربا لعهد من
تقدمه خبيرا باعمال من هو اقدر منه صلبا في دينه • وكل ملك تجمعت فيه هذه
الخصال في عين عدوه مهيبا لا يجد الغائب فيه معيبا • واذا كان الملك يري
من حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه قويا فانه يظفر به وينصر عليه
مثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين •
حكمة قال سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل •
حبيبين في قلبه ليكون في قلوب رعيته محبوبا وان يكون العقل قريبا
منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء وان
يكون فضله عزيزا • وبيته كبيرا ليعظم عند الفضلاء ويربي الادباء ليتفرغ
عنده الادب وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب لتبعد عنه العيوب •
وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بمملكته ويتلف اقرباؤه
وجلساؤه علي يديه لان القتل يظهر من عدم العقل وكل عيوب تنتجه قلة
العقل كما قال الشاعر **شعر** يقول الحكيم المقال الاسد • دع المزح اذ لست فيه اسد
تحفظ بنفسك مع مقليتك • فعينك للملك تجني الحرد • وخف ان نازعه ملكه
وفي حالة السخط عنه فعد • فتقتل عن سخطه لا لجرم • ضياعا وليس عليه القود
سمعت عن الخزان المليك • يذكر عنها قليل الامد • سال معاويه الاحنف

ابن قيس فقال يا ابا يحيى كيف الزمان قال الزمان انت يا امير المؤمنين ان
صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد • وقال الاحنف ابن قيس كما ان الدنيا
عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يضيء نوره وتلوح تباشيره
عن مسيرة الف فرسخ والجور يتراكم ظلامه • ويسود قتامه عن مسيرة الف فرسخ
وقال الفضيل ابن عياض لو كان دعائي مستجابا لما دعوت لغير السلطان العادل
صلاح البلاد وزينة العباد **خبر** جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه
وسلم انه قال المقسطون لله في الدنيا على منابر اللؤلؤ يوم القيامة • •
حكايت كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد رفع الحجاب فقدم
بين يديه لص فامر بصلبه فقال ايها الملك اني سرقت ولم يكن لي شهود في
السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر لاجرم تصلب ولا يطلب قلبك
الصلب ولا تريده • فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية النظر فيما
يأمر به من السياسة لينفذ ذلك اصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله
ونايبه • لان كثيرا من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تأمله يغطي
عليه بالاباطيل ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان
يجتهد في تدارك ذلك كما جاء في الحكاية **حكايت** كان للملك كشتاسب وزير
اسمه راست روشن وبهذا الاسم كان يظن كشتاسب انه تقي صالح وما كان
يستمع فيه مقال احد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راست روشن للخليفة
الملك ان الرعية قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا
عدل السلطان جارت الرعية والان قد فاحت فيهم راحة الفساد ويجب

علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المتعدين ونخلي الفسقة المفسدين ونؤدب
الصالحين ثم انه كان كل من لزمه الخليفة ليؤدبه ارتيشي منه راست روشن
واطلقه الى ان ضعفت الرعية وضاقت بها الاحوال وخلت الخزاين من الاموال
وظهر لكشتاسب عدو فاعتبر خزاينه فلم يجد فيها شيئا يصلح به امور عسكره
فركب يوما من شغل قلبه وسار في البرية فراى من بعد قطيع غنم فطلبه
فراى خيمة مضروبة والاغنام نيام وراى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة
خرج اليه شاب فسلم عليه وساله النزول فنزل فاكرمه وقدم بين يديه
ما حضره كما وجب فقال له كشتاسب خبرني عن حال هذا الكلب حتى اكل
طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان امينا لي على اغنامي
فصادف ذيبة ويقوم معها وينام عندها والذيبة كل يوم تاتي وتسرق
من الغنم راسا بعد راس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب مني حق
المرعى فتعددت الفكر واحسبت حساب الغنم وهي تنقص في الحساب فرايت
ذيبا قد اخذ شاة والكلب ساكت بجانبه فعلمت انه كان سبب تلاف الغنم وانه
كان يخون امانته فلزمته وصلبته فاعتبر كشتاسب بذلك وجعل يفكر
في نفسه وقال رعيتنا اغنامنا فيجب ان يسئل ايضا لحق عنها ليصل الي
حقيقة امرها فعاد الى داره وجعل ينظر في النار نامجات واذا هي جميعها
شفاعات راست روشن فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوي
النفس يبقى بغير زاد ومن خان في الزاد غاد بغير روح وامر بصلب الوزير
وهذه الحكاية مكتوبة في كتاب يادكارنامه وفيها يقول الشاعر

وما انا بالمغتر باسمك انما ● تسميت كي تختال في طلب الرزق ● ومن جعل الاسماء
فخا لرزقه ● يعد بغير ذي روح على الجذع مستلقي ● **حكاية** يقال انه كان
لعمرو ابن ليث نسيب يعرف بابي جعفر ابن زيد ويه وكان عمرو به حفيا
ومن جملة محبته له انه كان قد وصله من هراة ماية جمل حمل الوبر على
كل جمل حمل من الحوايج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار ابي جعفر وقال
ليوسع عليه في مطبخه فقيل يوما لعمرو ابن ليث ان ابا جعفر قد بطخ
غلاما له وضربه عشرين خشبة فامر عمرو باحضاره وامر ان يحضر بين
يديه كل سيف في خزانته وقال يا ابا جعفر اختر من هذه السيوف اجودها
فاعزله ناحية عنها فجعل ابو جعفر يتخير ويبقي الى ان اعزل مائة سيف
فقال اختر الان منها سيفين فاختار ابو جعفر سيفين منها فقال ارسم
ان يجعلا في قراب واحد فقال ابو جعفر كيف يمكن ان يكون سيفان
في قراب واحد فقال عمرو بن ليث وكيف يمكن ان يكون امير ان في
بلد واحد فعلم ابو جعفر انه قد اخطا فقبل الارض والتمس العفو و
الاقالة فقال عمرو لولا حق القرابة والنسب لما حا بيتك فحل هذا لامرنا
فقد عفونا هذه النوبة عنك **حكمة** قال اردشير اذا كان الملك عاجزا
عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح
قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ليس شيء اضيع للملك
وافسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول على الملك وتكاثر الحجاب
وصعوبة الحجاب وليس شيء اهيب في قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب

واذا كان الملك سهل الحجاب • لم يمكن العمال ان يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر الاعمال اطلاع • ولا يجوز للسلطان ان يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة **حكاية** يقال ان اردشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا جاءه ندماءه من الغد حدث كلا بما يصنعه وكان يقول لاحدهم انك البارحة فعلت الشئ الفلاني واكلت الشئ الفلاني ونمت مع زوجتك والجارية الفلانية • ومهما كان يجري لندمائه كان يحدثهم من الغد بحيث يظنون ان ملكا يأتيه من السماء يعرفه باسمائهم وكذلك كان السلطان الغازي محمود ابن سبكتكين رحمه الله **حكمة** قال ارسطاطاليس خير السلاطين من كان في حدة النظر على مثال العقاب • وكان الذين حوله كالعقبان لا كالجيف • يعني اذا كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة في العاقبة وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت احوال مملكته واستقامت امور اهل ولايته **حكمة** قال الاسكندر خير الملوك من بذل السنة الحسنة وبدل السنة السيئة **حكمة** قال ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه وافسد حرمه وافشا سره • قال سفيان الثوري رحمة الله عليه خير الملوك من جالس اهل العلم • ويقال ان جميع الاشياء تتجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلوا اقدارهم بالعقل والفهم • وليس للملوك شئ خير من العلم والعقل فان في العلم بقاء العز ودوامه وفي العقل بقاء السرور ونظامه • ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع

فيه اثنا عشر خصلة • الفقه • والادب • والتقى • والامانة • والصحة والحياء • والرحمة • وحسن الخلق • والوفاء • والصبر • والحلم • والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك • وينبغي ان تعلم ان هذه الاداب تحتاج الى نظايرها وقرايتها لتصح في استعمالها • فينبغي ان يكون مع العقل العلم ومع الشجاعة الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصحة الحلاوة ومع الاجتماع الدولة • واذا جاءت الدولة حصل جميع المراد **حكاية** اعلم ان يعقوب ابن ليث علا امره وارتفع قدره وظهر اسمه وذكره وملك كرمان وسجستان وپارس وخوزستان • وقصد العراق • وكان الخليفة في ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك كنت رجلا صفارا فمن اين تعلمت تدبير الممالك فرد يعقوب اليه جوابا • وقال ان المولى الذي اعطاني الدولة • اعطاني التدبير • وفي عهد نامه اردشير مكتوب • كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم عاقبته ذل • وكل عدل ليس معه خوف وان كان تاما فان مصيره الى الندم **حكاية** قال عبد الله ابن طاهر يوما لابيه كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم في بيتنا قال ما دام بساط العدل والانصاف مبسوطا في هذا الايوان **حكمة** كان المأمون قد جلس في بعض الايام لفصل الدعاوي والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل ابن سهل وقال له اقض حاجة رافعها في هذه الساعة فان الفلك في سرعة دوران احد من ان يثبت على حاله او يفي لمحب بما له **يقول مؤلف الكتاب** يجب على الملوك العقلاء • والافاضل الالباء ان ينظروا في هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من ايام دولتهم • وينصفوا المظلومين • ويقضوا الحوايج المسلمين الشاغلين

وتوليتي لاصاغر العمال اكابر الاعمال • وتضييعي الحيلة في وقتها • وقلة تفكري
في الحيلة واعمالها وقت الحاجة اليها • والتباطي والوقفة في مكان العجلة
والفرصة والاشتغال عن قضاء حوايج الناس • وقيل له اي الاشرار اكثر
شرًا • فقال الرسل الخونة الذين يخونون في الرسالة لاجل اطماعهم • فكل
خراب المملكة منهم • كما قال ازدشير في حقهم كم سفكوا من الدماء وكم
هزموا من الجيوش • وكم هتكوا من استار ذي الحرمات الاحرار • وكم
احتاجوا من الاموال • وكم من يمين كذبوها بخيانتهم • وكم من عهود
نقضوها بقلة امانتهم • وكان ملوك العجم في هذا الامر يتحرزون ويتحفظون
وما كانوا ينفذون رسولًا الا بعد ان يجربوه ويمتحنوه حكاية ارسل
الملك الاسكندر رسولًا الى الملك دارا فلما عاد الرسول واعاد الجواب
شك الاسكندر في كلامه في كلمة فلزمها عليه فقال الرسول يا مولاي
انا سمعت منه هذه الكلمة باذني هاتين فامر الاسكندر ان يكتب
ذلك اللفظ بعينه وانفذه على يد رسول اخر الى دارا بن دارا فلما وصل
اليه وعرض المكتوب عليه وقراه طلب سكينًا وقلع تلك الكلمة من الكتاب
واعاده الى اسكندر • وكتب اليه ان اس الملك على حسن سنة الملك
وصحة طبعه • واساس صحة السلطان على صحة لفظ السفراء وصدق
مقالة الرسل الامناء • لان الرسول يقول ما يقوله عن لسان الملك ويسمع
ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والان فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب
لانها لم تكن من كلامي ولم اجد سبيلًا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول

ويتيقنوا ان هذا الملك لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد على الدولة
وان القضاء السماوي لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخاير واذا الخلت
الدولة تلاشت الاموال وتفانت الرجال ولا ينفع الندم اذا زال القدم كما
جاء في الحكاية حكاية يقال ان مروان اخر خلفاء بني امية عرض عسكره
فكان ثلثماية الف رجل بالعدد الكاملة فقال وزير ان هذا الجيش ليس
اعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة لم تنفع العدة
واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيمًا كثيرًا بان قليلًا حقيرًا • ولو ملكنا
الدنيا باسرها فلا بد ان ينزع منا • ولمن بقت الدنيا حتى تبقى لنا حكمة
قال ابو الحسن الاهوازي في كتاب الفرايد والقلايد • الدنيا لا تصفو الشارب
ولا تبقي لصاحب • فخذ زادًا من يومك لغدك • ولا يبقى يوم عليك ولا غد
يقال كان على قبر يعقوب ابن ليث مكتوب هذه الابيات عملها قبل موته و
امر ان تكتب على قبره وهي هذه شعر سلام على اهل القبور الدوارس
كانهم لم يجلسوا في المجالس • ولم يشربوا من بارد الماء شربة • ولم ياكلوا ما بين
رطب ويابس • فقد جاء في الموت المهول بكرة • فلم تغن عني الف الف فارس
فيا زاير القبور اتعظ واعتبرنا • ولا تكن في الدنيا هذيب بائس • خراسان
لحويها واكناف فارس • وما كنت من ملك العراق بايس • سلام على الدنيا
وطيب نعيمها • كان لم يكن يعقوب فيها بجالس • سئل الملك كان قد زال الملك
عنه فقيل له لاي سبب التفتت الدولة عنك • وسلبت المملكة منك
فقال لاغتراري بالدولة والقوة • ورضايي برايي وعلمي وغفلتي عن المشورة

وقرأ الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه وقال له ويلك
من وضعك على اتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التي تكلمت بها • فاقر الرسول
وقال انه قصر في حقي واسخطني • فقال الاسكندر سبحان الله اتظن اننا ارسلناك
لتصح امورك وتضيع امورنا • وتسعى في حقوق الناس لينا • ثم امر به فسل
لسانه من قفاه فصل وتجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته في
ضايقة وحصلوا في شدة وفاقة • ان يغيثهم لاسيما في اوقات القحط وغلا
الاسعار حيث يعجزون عن التعيش • ولا يقدرون على الاكتساب فينبغي
حينئذ للسلطان ان يغنيهم بالطعام ويسعدهم من خزاينه بالمال ولا
يمكن احدا من خشمه وخدامه واتباعه ان يجور على رعيته لئلا يضعف
الناس • وينتقلون الى ولايته • ويتحولون الى سوى ايالته فينكسر ارتفاع
السلطان • ويقل حاصل الديوان • وتعود المنفعة على ذوي الاحتكار •
الذين يسرون بغلا الاسعار • ويقبح ذكر الملك ويدعى عليه • ولاجل هذا
كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا غاية الحذر ويراعون الرعايا
من خزاينهم ويساعدونهم من ذخايرهم ودفاينهم حكايت يقال انه
كان رسم ملوك العجم ان يادنوا لرعاياهم في الدخول اليهم في ايام النوروز والمهرجان
وكان المنادي ينادي قبل ذلك بايام ان استعدوا لليوم الفلاني ليأخذ
كل من الناس اهبته • ويصلح امره ويكتب قصته ويتقن حجته • ومن كان
له خصم يعلم انه يتألم منه عند الملوك طلب رضاه • فاذا كان ذلك اليوم
وقف المنادي على باب الملك ونادي ان منع اليوم احدا انسانا من الدخول

كان الملك بريئا من دمه ثم كان تؤخذ القصص من الناس وتضع بين يدي
الملك وكان ينظر في كل واحدة منهما على الانفراد وموبذ موبذان قاعد على يمينه
وموبذ موبذان بلسانهم قاضي القضاة فان كان في القصص قصة يتألم فيها
من الملك قام الملك من مقامه وبرك بين يدي موبذ موبذان على ركبتيه
مقابل خصمه ثم قال انصف اولا هذا الرجل مني ولا تحلد الى الميل والمحاباة
ولا تختر لي على نفسك لان الله جل ذكره اذا اهدى الحظوظ لعباده اختار
لهم ووالى عليهم خير خليفة واذا اراد ان يري عباده اي قدر لذلك الخليفة
عنده اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك • ثم كان ينظر المؤبد فان كان
بين يدي الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك اخذ
الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى صحيحة
وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة امر بعقوبته ونادي عليه
هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة • وكان الملك اذا فرغ الدعاوي
استوى على سرير مملكته ووضع التاج على مفرقه واقبل على جماعته وخاصته
وقال انما انصفت من نفسي ليلا يطمع احد في الظلم والجور على احد وكل من
كان منكم له خصم فليرضه • وكان يبعد عنه في ذلك اليوم كل من كان
قريبا منه • ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى
هذا المذهب الى ايام يزدجرد بزه الاثكار فانه غير قواعد ملوك ساسان
وظلم الخلق وافسد حتى جاء بعض الايام فرس في غاية الجودة والكمال
بحيث انه لم ير احد في ذلك الزمان مثله في حسن خلقته وجمال هيئته فدخل

من باب داره فاجتهد جميع من في عسكره ان يلزموه فامتنع عليهم
ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان
ساكتا فقال يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه احد منكم فانه هدية من الله
خاصة لي فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا قليلا ثم امر بزين على ظهره
والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعى يزدجرد السرج واسرجه بيده واوثق جذب
حزامه ودار نحو كفله ليضع الثغر قرفسه الفرس على فواره رفة محكمة فخر ميتا
في الحال فخرج الفرس ولم يعلم احد من اين جاء ولا الى اين عاد فقال الناس
هذا الفرس كان ملكا ارسله الله اليه ليهلكه ويخلصنا من ظلمه وجوره
قال القاضي ابو يوسف حضر يوما عندي في مجلس حكمي يحيى ابن خالد البرمكي
مع خصم له يهودي فادعى عليه المجوسي فطلب منه الشاهد فقال ليس
لي شاهد فحلفه فحلفت يحيى وارضيت خصمه باحلافه وساويت في
الحكم بين يحيى وبين المجوسي لغرة الاسلام وما ملت مع احد قط ولا احابه
احدا خوفا من ان يسئلني الله تعالى عن ذلك بل يجب ان تعرف قدر الزعماء
والاكابر وينبغي للاكابر ان لا يظلموا اصاغرهم وان يعظموا امر الحق ويطيعوا
السلطان ولا يعصوه في حال ليكونوا قد عملوا بقول الله كما تقدم اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه المرتبة الشريفة
والدرجة المنيفة ويقرن طاعته بطاعته جل اسمه وطاعة رسول الله
فالواجب على الخلق ان يطيعوه ويخافوه ويجب على السلطان شكر هذه النعمة
والطاعة لربه وامتثال امره به من العدل والاحسان والرأفة بالمظلومين

فقد قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر من ظلمه
الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم حجاب ودعاؤه مستجاب ولا
سيما الدعاء في الاسحار والتضرع في هدو الليل الى الجبار كما قال الشاعر
تنام وما المظلوم عنك بنايم ودعوته لا تنثني بحجاب وقال
تاسفت على اربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائي
لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى عنترة بن شداد لفروسيته

الباب الثاني في سياسة الوزارة وسير الوزراء

اعلم ان السلطان يعلو قدره ويحسن ذكره بالوزير اذا كان صالحا عادلا كافيا لانه لا يمكن
احدا من الملوك ان يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد
برايه ضل بغير شك الا ترى ان النبيء مع جلالة قدره وعظم درجته
وفصاحته امره الله بمشاورة اصحابه العقلاء فقال عز من قائل
وشاورهم في الامر واخبر في كتابه عز وجل عن موسى ع واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري فاذا لم يستغن الانبياء عليهم السلام
عن الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس احوج سئل اردشير بن
بابكان اي الاصحاب اصلح للملك فقال الوزير العاقل المشفق الامين
الصالح ليدبر معه رايه ويشير اليه بما في نفسه وعلى السلطان ان يعلم
الوزير بثلثة اشياء احدها انه اذا ظهرت منه زلة او وجدت منه
هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثاني اذا استغنى في دولته واتسعت
حاله في خدمته لا يطمع في ماله وثروته الثالث انه اذا سأله حاجة

لا يتوقف في قضاياها • وينبغي ان لا يمنعه من ثلثة اشياء • وهي انه متى اختار
ان يراه لا يمتنع عن رؤيته • وان لا يسمع في حقه كلام مفسد • وان لا يكتم
عنه شيئا من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان • ومدبر امر الدار
وبه عمارة الولايات والخزاين وزينة المملكة • وشدة الهيبة والقدرة
وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة • وبه يكون سرور الملك وقمع
اعدائه • وهو احق الناس بالاستمالة • وتفخيم القدر وتعظيم الامر ••
قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا راك على امر لا يجوز لك لا يوافقك
عليه • وينبغي للوزير ان يكون مايلا الى الخير متوقيا من الشر • واذا كان
سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد • كان له على ذلك وامر منه
بالازدياد • واذا كان سلطانه ذا حمق غير مشفق على الوزير ان يرشده
قليلا قليلا بالطف وجه • ويهديه الى الطريقة المحمودة • وينبغي ان تعلم
ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك • وينبغي ان تعلم انه لا يجوز
له ان يهتم بغير الخير وتعلم انه اول انسان تحتاج اليه السلطان ••
وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى تتم سلطنته • وتنتظم بالسرور
مدته فقال الى ستة من الاصحاب • الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر
معه رايه ويسوس امره • والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة
والسيف القاطع • والسلاح الحصين • والمال الكثير الذي تخف محمله
ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت • والزوجة الحسناء لتكون
مونسة لقلبه • مزيلة لكربه • والطباخ الخبير الذي اذا امسك طبعه

دبر له شيئا يطلقه **حكمة** قال اردشير حقيق على الملك ان يكون طالبا
لاربعة • فاذا وجدهم احتفظ بهم • الوزير الامين والكاتب العالم ••
والحاجب المشفق • والمدبر الناصح لانه اذا كان الوزير امينا دل
على بقاء الملك وسلامته • واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك و
رزانته • واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك اهل مملكته
واذا كان المدبر ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته **حكمه** قال
موبد موبدان في عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا
بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين • ولا ينفع خير الاصحاب الا
اذا كان الملك تقيا لانه لا ينبغي ان يكون الا الاصل جيدا ثم الفرع
ومعنى تقوي السلطان صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا في ساير
الامور امرا بالصحة باقواله وافعاله ليصح بصحته ساير حشمه ورعيته
وان يكون قلبه واثقا بالله • وان يرى ان قوته وقدرته وظفره
باعدائه ونصرته ووصله الى مراده من الله تعالى • وان لا يعجب بنفسه
فان اعجب خشي عليه الهلاك • كما جاء في الحكاية **حكايت** يقال انه كان
سليمان ع م جالسا على سرير مملكته وقد حملته الريح في الهواء فنظر
سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم لعظيم هيبته
وسياسة فاضطرب السرير به وهم بالانقلاب • فقال سليمان للسرير استقم
فنطق السرير • وقال استقم انت حتى نستقيم نحن • كما قال عز من قائل ان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم • وقال ابو عبيدة في امثاله

من سلك الحذاء من العثار • ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان
الشاب وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس
من تجارب الايام لا يتعلم من شخص • والوزير زين السلطان وزين السلطنة
والزين يجب ان يكون صالحا طاهرا من الشين • ويحتاج الوزير الى خمسة
اشياء يحمد خبره • وحسن سيرته • اليقظ والنظر في كل امر يدخل فيه ووجه
المخرج منه والعلم حتى تتضح له الاشياء الخفية • والشجاعة حتى لا يخاف من شئ
في غير موضع الخوف • والصدق ليلا يعمل مع احد غير الصحيح • وكتمان السر
السلطان الى ان يدركه الموت • قال ازدشير ابن بابكان يجب ان يكون الوزير
ساكتا • متمهلا • شجاعا • واسع الصدر حسن المقال مليح الوجه مستحييا صامتا
حيث تحسن الصمت • ومتكلما اذا حسن الكلام • ومع ذلك يجب ان يكون
تقيا حسن المذهب ليطهر نفسه وينفي عنها كلما لا يحسن من الاعتقاد •
وينبغي ان يكون ذا تجارب ليسهل الامور على الملك • وان يكون متيقظا لينظر
عواقب الامور • ويخاف تغير الدهور • وان يتحفظ ان تصيبه عين الزمان
وكل ملك كان وزيره له محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير الاعداء
وكان اعداؤه اكثر من اصدقائه • ولا يجوز للسلطان ان يسمع في حق وزيره
كلام المحرضين عليه الساعين به اليه ليحسد اصدقاؤه وتنكبت اعداؤه •
ويجب ان يكون الوزير محمود الطريقة حتى اذا راى في الملك خلة مذمومة
غير شديدة رده الى العادة المحمودة من غير غلظة • لان الملك اذا كان على
ما لا يريده الوزير اذا سمع منه ما يسمعه منه فما يكرهه من التقريع عمل شرا

من ذلك • والدليل على ذلك ان الباري جلت قدرته لما ارسل موسى الى فرعون
امره بقوله • فقولا له قولا لينا • فاذا كان الله سبحانه وتعالى امر انبياءه
بذلك • فالناس اجدر واولى ان يلينوا مقالهم • وان كان السلطان لحشن كلامه
فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصيب على كلامه في قلبه فان قدرة الملك
تنطق لسانه فينطق بما يريد • واذا كان الوزير محبا للملك صحيح المقال حسن الفعال
فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك ولا يمن بها عليه قال اهل الفطنة
اذا احسنت الى احد • وعددت احسانك اليه كان شرا من الامتنان عليه
بتقريعك له • وينبغي ان يعلم الوزير وخاصة الملك انهم مهما فعلوه
من حسن فان ذلك باقبال الملك وبركة ظله افعل فالمنة حينئذ تصلح
ان تكون له على الخلق واعظم فساد ينشاء في دولة الملك يكون من امرين
احدهما من الوزير الخاين • والثاني من نية الملك الردية الفاسدة قال
انوشروان شر الوزراء من جرء السلطان على الحرب وحداه على القتال في
موضع ينصلح الحال بغير حرب لان الحرب في سايرا الاحوال يفني ذخاير الاموال
وفيها تبتذل كرايم النفوس ومصونات الارواح • وقال ايضا كل ملك كان
له وزير جاهل مثله كمثل الغنم الذي يبذوا ويظهر ولا يبدي ولا يعطر
وفي كتاب وصايا ارسطاطاليس كل امر ينقضي على يد غيرك بلا حرب
ولا خشونة فهو خير مما يقضه بيدك بالحرب والغضب • والعلماء يضربون
هذا المثل ويقولون ينبغي ان تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك • وترتيب الوزراء
انهم مهما امكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا فان لم تاتي الامور بالاحتيال

والتدبير فيجتهد في تاتيها باعطاء الاموال وبذل الصلات والنوال
ومتى انهزم لهم معسكر اعفوا من ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانه
قد يمكن قتل الاحياء ولا يمكن احياء القتلى • وان الرجل يصير رجلا في اربعين
سنة • ومن مائة رجل يكون رجل واحد يصلح لخدمة الملوك وان اسر
احد من الجند من اصحاب الملك كان على الوزير ان يفتكه ويفتدي به
ويخلصه • ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوي قلوبهم اذا باشروا حروبهم
وعلى الوزير ان يحفظ ارزاق الجند كل انسان منهم على قدره وان يدرب
الرجال الشجعان بآلات الحرب • وان يخاطبهم باحسن كلام • ويلين
لهم في الكلام ويلطف لهم في الجواب • فان الجند قد قتلوا كثيرا من الوزراء
في قديم الايام • وسالف الاعوام • ومن سعادة السلطان ومن طلعته
وقوة جده ان يسهل الله له وزيرا صالحا ومشيرا ناصحا قال رسول الله
اذا اراد الله بامير خيرا قيض الله له وزيرا يصيحا صادقا صبيحا ان نسي ذكره
وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب ان الله جل اسمه يظهر قدرته
في كل وقت وزمان • وحين واوان • ويصطفي جماعة يختارهم من عباده
مثل السلاطين والوزراء واكابر العلماء يعزهم الدنيا • ومن عجايب الزمان
حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا نظير في الكرم والسخاء •
وبذل المعروف والعطاء • وكان تحت حكمهم اكثر الولايات الوافرة الارتفاعات
وبعد انقراضهم فسدت احوال الوزارة ولم يبق لخدمة الملوك رونق ولا وجاهة
الى ان اوجد الله ببركات سلجوق • وظل دولتهم ال النظام واوصلهم الى

درجات الوزراء المتقدمين • وارتفع بحيث انه لم يبق في الدنيا احد
من اهل الفضل والادباء وابناء السبيل الغرباء من وضيع وشريف الا وهو
مشمول باجسانهم معمور باماننهم ولم يكن احد منهم من خيرهم محروما
وانما ذكرنا هذا ليعلم من يقرء كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح •
وقال بزرجمهر لاتقاس الاشياء بعضها ببعض لان جوهر الناس اجل من كل
جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالناس • والباري جلت قدرته لاينسب
الى الخطاء وهو واهب الصلاح لمن يشاء فانه يوتي كل احد ما يصلح له و
يليق به • فينبغي ان تكون وزراء الملوك ومدبروا دولتهم على هذه الصفة
وان يحفظوا رسوم المتقدمين وطرايقهم وان يلتمسوا الاموال التي
تؤخذ من الرعية في اوقاتها واحيانها وعند وجوبها وابانها وليعرفوا
الرسوم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها وقدر قوتها وان يكونوا في
تصيدهم صايدي الكرى لا قاتلي العصفور • ولا يجوز لهم ان يحرصوا
على تناول اموال المواريث ما دام الوارث موجودا فالطمع في ذلك شوم
غير جايز ويجب عليهم استمالة قلوب الرعية والحشم • بهبات الفوايد والنعم
وليعلموا ان كفايتهم • وسموم رتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية
ليحسن ذكرهم في الدنيا وينالوا جزيل الثواب في العقبى **الباب الثالث في**
ذكر الكتابة واداابهم قال العلماء ليس شيء افضل من القلم لانه يمكن اعادة
السالف والماضي • ومن فضل القلم وسروره عند الله عز اسمه اقسم به
فقال جل من قايل • ن والقلم وما يسطرون • وقال تعالى ذكره

اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم • وقال ع م اول ما خلق الله القلم فجرى
بما هو كاين الى يوم القيامة الحديث • قال عبد الله ابن عباس في تفسير هذه
الآية الكريمة حكاية عن يوسف ع • اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم • معناه وكلني على كنوز الارض اني حافظ • ويقال انه صايغ الكلام •
قال ابن المعتز القلب معدن • والعقل جوهر • والقلم صايغ • والخط صناعة •
قال جالينوس القلم طبيب الكلام • قال بلينا س الحكيم • القلم طلسم كبير •
قال الاسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم • والسيف تحت القلم •
والقلم ادب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف راي كل انسان من قريب
وبعيد • ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه ما لم ينظر في الكتب لا يكون
كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة • ومعلوم ايضا لم يمكنه ان
يدرك بتجربته ومعلوم ايضا لم يمكنه ان يحفظ بقلبه • السيف والقلم
حاكمان في جميع الاشياء • ولولا السيف والقلم لما قامت الدنيا • واما
الكتاب فانهم لا يجوز ان يعرفوا اكثر من حدود الكتابة ليصلحوا خدمة
الاكابر • وقالت الحكماء والملوك القدماء ينبغي ان يكون الكاتب عالما
بعشرة • الاول بعد الماء وقربه تحت الارض ومعرفة زيادة الليل والنهار
ونقصانهما في الصيف والشتاء • ومسير الشمس والقمر والنجوم • ومعرفة
الاجتماع والاستقبال والحساب بالاصابع • وحساب الهندسة والتقويم
واختيارات الايام • وما يصلح للزارعين • ومعرفة الطب والادوية ومعرفة
ريح الشمال والجنوب • وعلم الشعر والقوافي • ومع هذا كله ينبغي ان يكون

الكاتب خفيف الروح طيب اللقا عالما ببرات القلم وقطه ورفعه وحطه
ومهما يكن في قلبه اظهره بشبا قلمه وان تحرس نفسه من طغيان قلمه •
وينبغي للكاتب ان يعرف اي حرف يجوز ان يمد واي حرف يكون مجتمعا •
متصلا • وليكتب الخط مبينا • ويعطي كل حرف حقه كما يحكى انه كان لعمر بن
الخطاب عامل فكتب كتابا الى عمرو بن العاص ولم يظهر سين بسم الله ثم
توجه بعد ذلك الى عمل • واول ما ينبغي ان يعرف الكاتب برابة القلم فان
الانسان اذا كان يحسن الخط ويقدر ان يبري القلم فان الخط على كل حال
يجيء صالحا كما جاء في الحكاية حكاية كان لشاهنشاه الري عشرة من الوزراء
وكان في جملتهم الصاحب ابن عباد فاجتمع الوزراء كلهم على نكته واتفقوا
على التقرب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبري قلمه فلما علم بذلك جمعهم
حملتهم • فقال لهم الصاحب لكاني اي ادب فيكم بي مثله حتى يحاسروا
وتحدثوا عني بحضرة السلطان شاهنشاه • فان ابي علمني الوزارة ولم يعلمني
التجارة • واقل ادواني برابة القلم وهل فيكم من يقدر ان يكتب كتابا
تاما بقلم مكسور الراس فعجزوا الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب
انت فاخذ الصاحب قلما وكسر راسه وكتب به درجا تاما فاقر الجماعة
بفضله فاعترفوا بادبه ونبله • واجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر
اللون رقيق الوسط • والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح للخط الغربي
والفارسي والعبري • واللسان الذري يجب ان يكون قلمه محرفا من جانب
الايسر • وخير الاقلام ما وصفه جعفر ابن خالد البرمكي في كتاب كتبه

الى محمد ابن ليث قلم لاغليظ ولا رقيق • وتجب ان تكون براية القلم على
شكل منقار الكركي محرفا من الجانب الايمن • وينبغي ان يكون المقط الذي
تقط عليه الاقلام في غاية الصلابة • وتجب ان تكون الانفاس فارسيته
خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا في غاية الصقالة وان يجاذل
الانفاس • وكل حرف ازيد من ثلثة احرف تجب ان يمد • وما كان اقل
لايجوز مده • وانه يتوخى بذلك الخط • وان تكون صورة الحروف يشبه
بعضها بعضا • ولا يقدر على ذلك الا حكيم عاقل • ومن تعودت بذلك
انا مله كان عبد الله ابن رافع كاتبا لامير المؤمنين رضي الله عنه فقال
كنت اكتب كتابا فقال لي امير المومنين يا عبد الله الق دواتك واطل
جلفة قلمك • ووسع بين السطور • واجمع ما بين الحروف • وكان
عبد الله ابن جبله كاتبا محسنا • فقال لغلمانه لتكون اقلامكم نحريه فان
لم تكن نحريه تكن صفرا • واقطعوا عقد الاقلام ليلا تتعقد الامور •
ولا يجوز انفاد كتاب بغير ختم • فان كرم الكتاب ختمه • وقال عبد الله
ابن عباس في تفسير قوله تعالى اني القي الي كتاب كريم • اي مختوم • وامرهم
ان يكتب كتابا الى العجم • وقال انهم لا يريدون كتابا بغير ختم فختمه بخاتمه
المبارك • وكان على فصه مكتوب محمد رسول الله • وقال الزوي صخر بن
عمرو ان النبي ع م لما كتب كتابة الى النجاشي رماه على التراب ثم انفذه
فلا جرم انه اسلم • وقال النبي ع م تربوا كتبكم فانه انجح لحوايجكم • وقالوا
تربوا الكتاب فان التراب مبارك • واذا كتب الكتاب • فليقرأ قبل طيه

فان كان فيه خطاء تداركه واصلحه • وينبغي ان يجتهد الكاتب
ان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا • وان لا يكرر تكنيها وان يحترز
من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كاتبا محمودا • وفي باب الكتابة كلا
كثير • ونقنع منه بهذا القدر ليلا يطول الكلام • فقد قيل خير الكلام
ما قل وجل ودل ولم يمل • الباب الرابع في سمو همم الملوك قال امير المومنين
عمر ابن الخطاب رض اجتهد ان لا تكون دني الهمة فاني ما رايت شيا اسقط
لقدم الانسان من تدابي همته • وقال عمرو بن العاص المرء حيث وضع نفسه
يريد • ان عز نفسه علا امره • وان ذلها ذل وهان قدره • وتفسير الهمة
ان يرفع نفسه • فان انفة القلب من هم الاكابر لان هم يعرفون قدر
انفسهم فيعزونها ولا يعرف واحد قدر احد حتى يكون هو الرافع لقدر
نفسه • واغراز المرء نفسه ان لا يخلط بالارذل ولا يشرع في عمل ما لا يجوز
لمثله ان يعمله • ولا يقول ما يعاب به • والهمة والانفة للملوك لان الله ع
ركب فيهم هذه الخصلة • وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة • ويتعلمها من
الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية حكاية امر ابو دوانيق لرجل بخمسمائة
درهم • فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد
وكان هرون الرشيد يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره
فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه • وقال هذا
خطاء • فلما نزلا قال هرون اي خطاء بدا مني حتى اشرت الى بعينيك
فقال لا يجوز ان يجري على احد من الملوك اقل من الالف • فقال الرشيد

فان اتفق امرا لايجوز ان يعطى فيه اكثر من خمسمائة مثل هذا كيف يقال
فقال له قل يعطى فرسا فيوصل اليه فرس على جاري الرسم وتكون قد نزهت
نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المامون ولده العباس
من ولاية عهده وذلك ان المامون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه
يقول لغلامه يا غلام قد رايت في الرصافة نقلا حسنا وقد اشتهيت منه
فخذ نصف درهم وصير الى الرصافة فأتني بشيء منه فناداه المامون
وقال من الان قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية
وترتيب الملك ولا يأتي منك صلاح ولا افلاح حكمة يقال ان في وصية
نامة ازدشير انه قال اذا اردت ان تهب لاحد من اولادك شيئا فاجتهد
ان لا يكون عطاؤك اقل من دخل ولاية او قرية او قيمة بلد او رستاق
ليستغني الشخص الذي تهبه وتزول حاجته وتستغني اعقابه بك
واولادهم ما عاشوا فيحصل بذلك في حساب الاحياء لا في حساب الاموات
واجتهد انك لا ترغب في التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على
تدابر همة الملك حكمة يقال انه كان للملك هرمز ابن سابور وزير فكتب اليه
كتابا يذكر فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر
نفيسة القيمة وانني اتبعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة الف دينار
والآن فقد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب
الملك فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة الف ومائة الف مثلها
وامثالها ليس لها في اعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا علمنا نحن التجارة

فمن يعمل السلطنة فانظر انتها الجاهل لنفسك ولا تعد الى مثل هذا الكلام
ولا تخلط في اموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من ارباح التجارة فان
ذلك يسقط قيمة الملك ويزري بحسن اسمه ويعود بقمع قاعدته ورسمه
ويضر بصيته في حال حياته وبعد وفاته حكاية حكي ان الامير عمارة
ابن حمزة كان في بعض الايام جالسا في مجلس الخليفة المنصور ابي الدوانيق
وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال يا امير المؤمنين
انا مظلوم فقال من ظلمك فقال عمارة ابن حمزة اغتصب ضياعي وابتز
ملكي وعقاري فامر المنصور ان يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة
فقال عمارة ابن حمزة يا امير المؤمنين ان كانت الضياع له فما اعارضه فيها
وان كانت لي فقد وهبتها له وما لي حاجة في محاكمته وما ثلثه ولا
ابيع مكاني الذي اكرمني به امير المؤمنين بضياع فتعجب الاكابر الحاضرين
من علو همته وشرف نفسه ومروته الهمة والتهمة على شكل
وكل انسان له منها نصيب فواحد بالسخا واطعام الطعام وآخر بالعلم
وآخر بالعبادة والقناعة والزهادة وترك الدنيا وآخر بطلب العقبى
وآخر بطلب الزيادة واما الهمة بالسخا وبذل المال وابتداء النوال
فينبغي ان يكون كما جاء في الحكاية حكاية يقال ان يحيى ابن خالد البرمكي
خرج من الخلافة راكبا الى داره راى على باب الدار رجلا فلما قرب منه
يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا ابا علي الى ما في يدك وقد جعلت الله
وسيلتي اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في كل يوم

الف درهم • وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا •
فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم •
وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو اقام عندي مدة عمري وطول دهره لما
منعه صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي • حكاية كان لجعفر ابن موسى الهادي
جارية عوادة • تعرف بالبيدر الكبير ولم يكن في زمانها احسن منها وجها
ولا احذق بصناعة الغنى وضرب الاوتار • وكانت في غاية الكمال وتماء
الجمال • فسمع بخبرها محمد ابن زبيدة الامين • والتمس من جعفر ان يبيعه
اياها • فقال له جعفر انت تعلم انه لا يجيء من مثلي بيع الجواري • والمساومة على
السراري • ولولا انها مرتبة داري • لانفذتها اليك ولم انفس بها عليك •
ثم انه بعد ذلك بايام جاء محمد ابن زبيدة الى داره فرتب له مجلس الشراب •
وامر بدرا ان تغني له وتطربه • فاخذ محمد في الشراب والطرب ومال على جعفر
بكرة الشرب حتى سكر واخذ الجارية معه الى داره • ولم يمد اليها يدا ثم رسم
من الغد باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب • وامر الجارية
ان تغني من داخل الستارة فسمع جعفر غناؤها فلم ينطق من شرف نفسه
وهمته • ولم يظهر تغيرا في محاضرته • ثم امر محمد الامين ذلك الزور والذي
ركب جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع فيه الفي بدرة وجملتها مائة الف
الف درهم حتى استغاث الملاحون • وقالوا ما يقدر الزورق تحمل اكثر من
هذا وامر بحمله الى دار جعفر • هكذا كانت همم الاكابر • سئل بعض الحكماء
من اسوء الناس حالا • فقال من كان اكثرهم همة • واكثرهم علما • واعزهم فهما

واضيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي ان يتوصل ليتخلص من نحوسة خطه وضايقة
يده فقال بالملوك الاكابر • وذوي الهمم العالية • والنفوس الشريفة السامية
كما قيل جاور بحرا او ملكا • حكاية قال سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتدت بي الحال
في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجز في قضايها • وعسر علي اداها •
فاحتشد بباب داري ارباب الديون • وتزاحم المطالبون • ولازمني الغرماء •
فضاقت حيلتي • وزادت فكرتي • فقصدت عبد الله ابن مالك الخزاعي والتمست
منه ان يمدني برايه • ويرشدني الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على
خلاصك من محنتك وهمك وضايقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن
يقدر على احتمال تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم • فقال تحمل ذلك لمصلحة الحال
فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر ابن يحيى ابن خالد • وقصصت عليهما
قصتي • وابديت لهما صفحتي فقالوا اعانك الله واقام لك الكفاية • فعدت
الى عبد الله ابن مبارك ضيق الصدر • متقسم الفكر • منكسر القلب • واعدت
عليه ما قالاه • فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله فجلست
عنده ساعة • واذا بغلام قد اقبل وقال يا بنا بغال باجمالها ومعها رجل يقود
انا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجوا ان يكون قد جاء الفرج مالثان
فنهضت واسرعت عدوا فرايت بباب بي رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك
لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد اقضت بك الحال
اليه • فامرني ان احمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلت له هذه
الدراهم يصرفها الى غرمائه فمن اين يقيم الى وجوه نفقاته فامر بثمان مائة

الف درهم اخري فصارت الجملة الفي الف وثمان مائة الف درهم لتصلح بها
احوالك حكايت يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب
جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه انوشروان وراه وهو
تحفيه فجاء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فقال يا اهل مجلسي قد ضاع لنا
جام من ذهب مرصع بالجواهر فلا يخرجن احد حتى يرد الجام فقال انوشروان
للشرابي مكنهم من الخروج فان الذي سرقه ما يعيده والذي راه ما يقدر عليه
واين كان السخاء وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان
ويجحد الامتنان لا اصل له ومن لا اصل له لا يقدر ان يستر نكده حكايت
يقال ان الرشيد استدعى صالحا في التاريخ الذي تغير على البرامكة فقال
يا صالح صر الي منصور وقل له لنا عليك عشرة الاف الف درهم ونريد ان تحصلها
في هذه الساعة وان لم تحصلها الي المغرب فخذ راسه عن بدنه وائتني به قال
صالح فصرت الي منصور وعرفته ما ذكره الرشيد من سياسة فقال آه هلكت
والله وحلف ان جميع اسبابه واملاكه لا تزيد قيمتها على مائة الف درهم
فمن اين اقدر على تحصيل عشرة الاف الف درهم قال صالح فقلت له دبر
حيلة في امرك فاني لا اقدر ان تمهل ولا اخاني فيما امرني به فقال العفو
يا صالح احملني الي بيتي لاودع اهلي واولادي وصبيتي واوصي اقاربي فمضيت
معه فجعل منصور يودع اهله وارتفع في منزله البكاء والصراخ والاستغاثة
قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على يدي البرامكة فامضي بنا الي يحيى ابن
خالد ومنصور يبكي ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما ناله فاغتم له واطرق الي

الارض ساكتا زمانا ثم رفع راسه الي خازنه وقال كم في خزانتنا من الدراهم فقال
خمسمائة الف الف درهم فامر باحضارها وانفذ قاصدا الي الفضل ولده
وقال له قل له انه قد عرض علي البيع ضياعا جليلة لا تخرب بدا فانفذ لنا شيئا
من الدراهم فانفذ الفي الف درهم وانفذ انسانا اخر الي جعفر وقال له قل له
قد اتفق لنا شغل ونحتاج الي شئ من الدراهم فانفذ جعفر الفي الف درهم
فقال له يحيى قد صح تسعة الاف درهم فقال له منصور يا مولاي قد تمسكت
بذيلك وما اعرف هذا المال الا من انعامك فتمم لي بقية ديني فاطرق
يحيى وبكا وقال يا غلام ان امير المؤمنين كان قد وهب جاريتنا دنانير
جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها وقل تنفذ لي تلك الجوهرة فمضى الغلام
اليها فاعطته الجوهرة وحملتها اليه فقال يا يحيى يا صالح انا ابتعت هذه
الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بثماني الف دنانير ووهبها امير المؤمنين
لدنانير العوادة واذا راها عرفها وقد تم الان مال مصادرة منصور فقل
لامير المؤمنين يهبها لي المنصور قال صالح فحملت المال والجوهرة الي الرشيد فبينا
نحن في الطريق انا ومنصور اذ سمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداءة
وفساده وخبث اصله وميلاده والبيت شعر

وما ابتعتني مستمسكا بي ولكن ... رايتك خفت من ضرب النبال

وقال صالح فحرت عليه وقلت له ليس على وجه الارض خير من البرامكة
ولا اشر منك فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك
ولم تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار وقلت بالغيب ما قلت ثم مضيت

الي الرشيد وقصصت عليه ما جري فتعجب الرشيد من سخاوة يحيى ومروته
وقال شيء قد وهبناه لا نعود فيه وعاد صالح ليحيى ابن خالد وذكر له قصة
منصور وسوء فعله فقال يحيى اذا كان الانسان مقلا مضيق الصدر
مشغول الفكر بضايقة اليد فهما قاله يقوله فليس ذلك من قلبه وجعل
يتطلب العذر لمنصور فبكي صالح وقال لا يعود الفلك الدائر يخرج الي الوجود
رجلا مثلك ولا اخرج قبلك فوا اسفا كيف يتواري رجل له خلق مثل خلقك
تحت التراب حكايت يقال انه كان بين خالد ابن يحيى البرمكي وبين عبد
الله ابن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب العداوة
بينهما ان هرون الرشيد كان تحب عبد الله الي بعد غاية بحيث كان
يحيى ابن خالد واولاده يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى مضى
على ذلك زمان والحقد في قلوبهما فولي الرشيد امارة ارمنية لعبد الله
ابن الخزاعي وسيره اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له ادب وذكاء
وفطنه فضاق ما بيده وفني ماله فزور كتابا عن يحيى ابن خالد الي عبد
الله ابن مالك الي ارمنية وسافر به الي عبد الله فحين وصل الي باب داره
سلم الكتاب الي بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الي عبد الله ففضه
وقرءه وتدبره فعلم انه مزور فحين دخل الرجل وسلم ودعا له وقال
عبد الله احتملت بعد الشقة وثقل المشقة وجيت بكتاب مزور ولكن طب
نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل
عليك وصولي فلا تحج في منعي بحجة وارض الله واسعة والرازق حي مبين

والكتاب الذي اوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله انا اعتمد معك
امرين وهما اني اكتب كتابا الي وكيلي ببغداد وامره ان يسال عن هذا الكتاب
الذي اتيت به فان كان حقا اعطيتك امارة بعض بلادي وان اثر العطاء
اعطيتك مائة الف درهم مع الفرس والخلعة والتشريف وان كان كلامك
كذب عجلت عليك بالهلاك حتى لا يتطاول احد الي مثل هذا الامر ثم انه كتب
الي وكيله ببغداد ويقول انه قد وصل الي رجلا ومعه كتاب يذكر انه من يحيى
ابن خالد وانا سيء الظن في هذا الكتاب فيجب ان تحقق هذا الحال لنعلم صدقه
من كذبه فعرفني الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الي وكيله ومضى الي دار
يحيى ابن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه جالسا فسلمه الكتاب اليه فقرأه
خالد ثم قال للوكيل غدا الي من الغد لاكتب الجواب والتفت الي ندمائه
وقال ما جزاء من حمل عني كتابا وزور علي خطابا الي عدوي فقال كل واحد من
الندماء شيئا وجعل كل انسان منهم يعدد نوعا من العقاب وجنسا من العذاب
فقال لهم يحيى لقد اخطأتم وهذا الذي ذكرتموه من خسة الهمم وتداونا
وكلكم تعرفون قرب عبد الله ودنوه عند امير المؤمنين وتعلمون ما بيني
وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله متوسطا في الصلح
بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو احقاد عشرين سنة من قلوبنا ولتصلح بواسطته
سورتنا وقد وجب علي ان اني لهذا الرجل بتأمله واصدق ظنونه واكتب له
كتابا الي عبد الله ليتوفر علي اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه
ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسمو همته ثم طلب الكاغد والدواة

وكتب الى عبد الله بخط يده كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم • وصل
كتابك اطال الله بقاك • وفضضته • وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت •
باستقامتك • وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زور عني كتابا • ولفق خطابا
وليس الامر كذلك • فان الكتاب انا كتبته • وعلى يده انا انفذته • وليس بمزور
عني وتوقيعي من كرمك • وحسن شيمك • ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم بامله
وتعرف له حرمة قصده وتوصله وان تحضه منك بغامر الاحسان •
ووافر الامتنان • ومهما فعلته في حقه انا المعتد به والشاكر عليه • ثم عون
الكتاب • وختمه وسلمه الى الوكيل وانفذه الوكيل الى عبد الله • فحين قرأه ابتهج
بما حواه • واحضر الرجل وقال اي الامرين الذين ذكرتهما تختار • فقال له الرجل
العطاء احب الي فامر له عبد الله بمائتي الف درهم وعشرة افراس عربية •
خمسة منها بالمراكب المحلاة • وخمسة بالجلال وعشرين تختا من الثياب •
وعشرة من المماليك ركاب الخيول • وما يليق بذلك من الجوهر المثمنة • وسيره في
صحبة مأمونه الى بغداد فلما وصل الى اهله قصد باب يحيى ابن خالد
وطلب الاذن • فدخل الحاجب على يحيى • وقال له يا مولاي ببابنا رجل
ظاهر الحشمة البزة حسن الحالة كثير الغلمان • فاذن له في الدخول فدخل
وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك • فقال انا الرجل الذي كنت
ميتا من جور الزمان • وعدم الحدثان • فانشرتني • واحييتني • انا الذي
كنت حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله ابن مالك • فقال له يحيى ما الذي
فعل • واي شيء اعطاك • فقال من بركتك • وظلك • وهمتك • وفضلك اعطاني

واغناني وقد حملت جميع عطيته وها هي ببابك والامر اليك والحكم في يدك
فقال له يحيى صنعك معي اكثر من صنيعي معك ولك المنة العظيمة علي والد
الجسيمة اذ ابدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم
بالصداقة • وانت كنت في ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثلما وهب
لك ثم امر له من المال بمثل ما اعطاه عبد الله • وانما اوردنا هذه الحكاية
ليعلم من يقرأها ان الانسان اذا كانت همته عالية لا يضيع ابدا كما
لم يضيع ذلك الرجل • ولو كان حسيس الطبع لالتجأ الى عمل دني ولعلق
بلئام الناس لكنه لما كان همته سامية تهور واقدم وخاطر مع رجل
محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق • فوصل بذلك التهور الى مراده
وانظر الى رجلين الكريمين المحتشمين الزعيمين • والى سموهما كيف عاملا
وبماذا قابلاه • ولم يريا في مروتهما عقوبته وعذابه • ونال ببركتهما طلابه
وتخلص من شدة زمانه وضايقته • وافلت من شرك محنته • وعاد
ذا نعمة سنية • ورتبة علية • وحصلا بجميل الذكر • وجزيل الاجر •

حكايت يقال انه تفاخر عبدان عبد لبني هاشم • وعبد لبني اميه •
فكل واحد منهما قال مولاي او موالي اكرم من مواليك • فقال الاموي
الان وجرب • فمضى عبد بني اميه الى بعض مواليه • وشكى من ضايقته •
وتألم من فاقته فاعطاه عشرة الاف درهم • ومضى الى آخر من مواليه
فاعطاه عشرة الاف درهم حتى طاف على عشرة منهم فاجتمع له مائة
الف درهم • وقال للاخر امض انت الى بني هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم

فاتي عبد بني هاشم الي الحسين ابن علي رضي الله عنهما وشكى حاله اليه فقره
وما افضى اليه • فاعطاه مائة الف درهم • ثم مضى الي عبد الله ابن جعفر
وشكى اليه فاعطاه مائة الف درهم • ثم مضى الي عبد الله ابن ربيعه
فاعطاه مائة الف درهم فاجتمع له من ثلثة نفر ثلثمائه الف درهم فمضى
بالمال الي بني اميه فقاله ان موالیك تعلموا الكرم من موالي ولكن عد
بنا لنجربهم ثانية • وبعد المال اليهم فمضى مولي بني اميه اليهم وقال قد استغنيت
عن هذه الدراهم وقد سهل الله لي من مكان فتوحا اسد به فقري ولم
يبق لي في هذه المال حاجة وقد اعدته فاخذ كل واحد منهم دراهمه • وحمل
مولي بني هاشم الدراهم الي سادته • وقال لهم قد تيسر لي من مكان ما زالت به
حاجتي • وانقضت فاقتي وقد اعدت المال الذي اخذته منكم فاستبعدوه
فقالوا له نحن لا نأخذ شيئا قد وهبناه ولا نعود هباتنا تخلط باموالنا
فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به • حكمة قال بعض العلماء
اجلال الاكابر من الجلال • واحتقار الناس من لوم الاصل • وقبح الاكابر
من الجلال • والهمة بغير آلة خفة • وانما الهمة مع الجد تجمل وتلطف وتحسن
وتطرف • فلان الرجل اذا كان ذا همة وجد غير مساعد لم يكن له من همته سوي
الاخطاط لانه بجبان تكون الهمة علوية والجد عاليا • وقد قيل ايضا
الكلام بالدرجة • والعمل بالقدر • وينبغي ان يكون الهمة الي بغداد والزاد
الي فرسخين • ولد الجلال كان عبد العزيز ابن مروان اميرا بمصر فركب يوما
بموضع واذا رجل ينادي ولده يا عبد العزيز فسمع الامير نداه فامر له بعشرة الاف

درهم لينفقها علي ذلك الولد الذي هو سميه ففشي الخبر بمدينة مصر فكل من
ولد له في تلك السنة ولد سماه عبد العزيز ضده • وبضد ذلك كان الحاجب
تاش الامير الحاجب الكبير بخراسان • فاجتاز يوما بصيارف بخارا ورجل ينادي
غلامه • وكان اسم الغلام تاش • فامر بازالة الصيارف ومضاد رتهم • وقال
انما اردتم الاستخفاف باسمي فانظر الان الفرق بين الحر القرشي والمملوك
المسترق بالدرهم • وفي هذا الباب كلام طويل اذا ذكرناه طال الكتاب ••
وينبغي ان تعلم ان الهمة وان تاخرت فانها توصل الانسان الي مراده شعر

لو كنت في حزمت السلطان ذا طلب ... للزاد ما كنت من حامية اخطبه
سعيي لجدي ولو اصدق معرفتي ... اني سادركه ما كنت اطلبه

واما المحمود في الرجال ان لا يتجاوز الرجل بهمته فوق قدره وقدرته
ليلا يعيش منغصا طول حياته ومدته كما قال الشاعر ان كنت تقنع بالكفاية لم يكن
بالدهر ارفه منك عيشا فيه • او كنت فيما فوق ذلك طامعا • لم تكفل الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذي • لا تستجيب لنيل ما تبغيه الباب الخامس في ذكر
حكم الحكماء • اما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتها من تشاء
وقال سقراط مثل من اتاه الله الحكمة وهو يغتم بالمال كمثل من يكون في صحة
وسلامة فيبيعها بالتعب والوصب • وان ثمرة الراحة والعلا وثمرة المال
التعب في البلا • قال ابن المقفع كان للملوك الهند كتب كثيرة بحيث كانت تحمل علي
الفيلة فامر واحكماءهم ان يختصروها فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها
علي اربع كلمات احديها للملوك وهي العدل • والثانية للرعية وهي الطاعة

والثالثة للنفس وهي الامساك عن الاكل وقت الجوع • والرابعة للسان وهو
ان لا ينظر الى نفسه **حكمة** قال بعض الحكماء الناس اربعة • رجل يدري ويدري
انه يدري فذلك عالم فاتبعوه • ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذاك
ناس فذكروه • ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك مسترشد فارشدوه
ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذاك جاهل فاحذروه • اي شيء
ابعد قال الامل • وقال الاحنف بن قيس شيئان لا تتم معهما حيلة اذا اقبل
الامر فليس للادبار فيه حيلة • واذا ادبر فليس للاقبال فيه حيلة **وقال**
لقمان الحكيم لابنه شيئان اذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت بعدهما درهمك لعاتك
ودينك لمعادك **حكمة** سأل انوشروان بزرجمهر لاي سبب يمكن ان يجعل
الصديق عدوا ولا يمكن ان يجعل العدو صديقا • فقال لان تخريب العامر
اسهل من عمارة الخراب • وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا كان
مكسورا • وقال صحة الجسم خير من شرف الادوية وترك الذنب خير من
الاستغفار • وكظم الشهوة خير من كظم الحزن ومخالفة النفس والانكسار
خير من دخول النار **حكمة** كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف
الدنيا عدة سنين • وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست • وهي من ليس
له علم فليس له عز في الدنيا والاخرة • ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه
ومن كان جاهلا لم ينتفع بعلمه • ومن لا تقوى له فماله عند الله كرامة
ومن لا سخا له فماله من ماله نصيب • ومن لا بضعة له فماله عند الله حجة
حكمة سئل بزرجمهر اي عز يكون متصلا بالذل • فقال الغرفي خزانة السلطان

والغرم مع الحرص • والغرم مع الشفقة • وسئل بزرجمهر بما يؤدب البله • فقال
بان يأمروا بكثرة الاعمال • وان يستخدموا في مشقات الاحوال بحيث لا يجعل
لهم الى الفضول فراغا • فقيل بماذا يؤدب الاخسا • فقال باهانتهم واحتقارهم
ليعرفوا وضاعة اقدارهم • فقيل وبماذا يؤدب الاحرار • فقال بالتوقف في قضاء
حوايجهم • وسئل ايضا من الكريم • فقال من يهب ولا يذكر انه وهب •
وقيل له لاي سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال • فقال لانهم يظنون ان
المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذي يراد المال لاجله خير • وقيل له يكون
الشيء اعز من الروح بحيث يعطى الناس فيه ارواحهم ولا يبالون • فقال ثلثة
هي اعز من الروح الدين والحقد والخلاص من الشدايد • وسئل ايضا
في اي شيء زينة العلم والكرم والشجاعة • فقال زينة العلم الصدق وزينة
الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة • قال يونان الوزير اربعة
اشياء من عظيم البلاء • كثرة العيال مع قلة المال • والجار السيء الجوار والمرة
التي لا تقية ولا وقار • واتفق اهل الدنيا على ان اعمال الدنيا خمسة وعشرون
وجها • خمسة منها بالقضاء والقدر • وهي طلب الزوجة والولد والمال والملك
والحيوة • وخمسة منها بالكسب والاجتهاد • وهي العلم والكتابة والفروسية
ودخول الجنة والنجاة من النار • وخمسة منها بالطبع وهي الوفاة والمدارة
والتواضع والسخاء والصدق • وخمسة منها بالعادة وهي المشي في الطريق
والاكل والنوم والجماع والبول والتغايط • وخمسة منها بالارث وهي
الجمال وطيب الخلق • وعلو الهمة • والنكبر والدناة • ويقال ثلثة من الشدايد

التي لايجوز للعقلاء بنيانها • وهي فناء الدنيا وانقضاؤها • وتقلب احوال الزمان
ومحن الدهور ستة تساوي الدنيا الطعام السايغ • والولد السليم الاعضاء
والصاحب الموافق • والامير المشفق • والكلام الصحيح النظام • والعقل التام •
حكمة قال الحكيم خمسة اشياء ضايعة • السراج المضيئة في الشمس والمطر
في السباخ المالحة • والمرة الحسنى عند الاعمى والطعام الطيب يقدم بين يدي
الشبعان • وكلام الله في صدر الظالم • سئل الاسكندر لم تكرم معلمك فوق
كرامة ابيك فقال لان ابي سبب حياتي الفانية • ومعلمي سبب حياتي الباقية •
وقال اذا كانت بقسمة الله تجري الامور فالاجتهاد محضور • وتاركه مشكور •
وقال اذا لم يمشك معك الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما يريد • •
فالانسان عبد الزمان • والزمان عدو الانسان • وكل نفس يتنفسه الانسان
فبقدره يبعد عن الحياة • ويقرب من الممات حكمة سئل قوم من الحكماء
لبزرجمهر فقالوا عرفنا من ابواب الحكمة ما ينفع ارواحنا واشباحنا فاجتهد
فيه • وما يضرنا لنبعد عنه والله يجازيك عن احسانك فقال اعلموا وتيقنوا
ان اربعة من الاشياء تزيد نور العين • وتحد النظر واربعة تنقص نورها
واربعة اشياء تسمن الجسم وتخصبه • واربعة تضعفه وتهزله • واربعة
القلب • واربعة تميته • اما التي تزيد في نور العين فهي الخضرة والماء الجاري
والشراب الصافي • والنظر الى وجه الاحباء • واما الاربعة التي تنقصه
فهي اكل الطعام المالح • وصب الماء الحار على الراس • والنظر الدايم في عين السمن
ورؤية العدو • واما الاربعة التي تسمن الجسم وتخصبه فهو الثوب الناعم

وخلو البال من الاحزان • والرايحة الزكية • والنوم في المكان الساجن •
واما الاربعة التي تضعفه فاكل اللحم الغديد • وكثرة الجماع • وطول المكث
في الحمام • ونوم العشايا • ولبس الثوب الخشن • واما الاربعة التي يصح
بها الجسم فاكل الطعام في وقته • وحفظ مقادير الاشياء • ومجانبة الاعمال
المشقة • وترك الحزن على غير موجب • واما الاربعة التي تكسر البدن ذيفا
فسلوك الطريق الصعب • وركوب الفرس الحرون • والمشي على التعب • ومجامعة
العجوز • واما الاربعة التي تحيي القلب فالعقل النافع • والاستاذ العالم •
والشريك الامين • والزوجة الموافقة • والصديق المساعد • واما الاربعة
التي تميته فرد الزمهرير • وحر السموم • والدخان الكريه • ومخافة العدو •
وقال سقراط الحكيم خمسة اشياء يهلك المرء فيها نفسه • خديعة الاصدقاء
والالتفات عن العلماء • واحتقار الرجل نفسه • واحتمال الكبر من لا يسوى •
واتباع الهوى • حكمه قال بقراط خمسة اشياء لا يشبع منها خمس • عين
من نظر • واذن من ذكر • واذن من خبر • ونار من خطب • وعالم
من علم حكمه وسئل حكيم ما امر الاشياء في الدنيا • وما احلاها • فقال
امر الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لا قيمة له • والدين الفادح • وضاربة
اليد • واحلا الاشياء • الولد • والكلام الطيب • واليسار • وسئل حكيم ما الموت
وما النوم • فقال النوم موت خفيف • والموت نوم ثقيل • وسئل
حكيم ما الغنا • فقال القناعة والرضا • فقيل ما العشق فقال مرض
الروح • وموت في حسرة • سئل رطاطاليس اي صديق اوثق واي صاحب

اشفق • فقال الصديق الاصيل اوثق الصاحب القديم اشفق • وتدبر العقلاء
افضل حكمه قال جالينوس سبعة اشياء تجلب النسيان • استماع الكلام الخشن
لا يتصوره القلب والحجامة على حرز العنق • والبول في الماء الراكد • واكل الخوامض
والنظر في وجه الميت • والنوم الكثير • وطول النظر الى اماكن الخراب • وقال ايضا
في كتاب الادوية • ان النسيان يحدث من سبعة اشياء • وهي البلغم • وضحك
القهقهة • واكل الملح • واللحم السمين • وكثرة الجماع • والسهر مع التعب • وساير
الرطوبات • والبرودات • فان اكلها يضر ويجلب النسيان حكمه قال ابو القاسم
الحكيم فتن الدنيا تنشاء من ثلثة نفر من قايل الاخبار • وطالب استماع الاخبار
ومتلقي الاخبار • فهؤلاء الثلثة لا يخلصون من الملالة حكمه يقول ثلثة
اشياء لا يجتمع مع ثلثة • اكل الحلال مع اتباع الشهوات • والشفقة مع ارتكاب
الغضب • وصدق المقال مع الكلام حكمه قال بزرجمهر الحكيم ان شيئت ان تصير
من جملة الابدال فحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال • فقيل له كيف ذاك • فقال
في الاطفال سبع خصال لو كانت في الابدال • وهو انهم لا يغتمون للرزق
واذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم تعالى • وانهم ياكلون الطعام مجتمعين
واذا خاصموا لم يتحاقدوا • ويسارعون الى الصلح • وانهم يخوفون ويخافون
باديني تخويف • وتدمع اعينهم حكمة • قال وهب ابن منبه في التورية اربع
كلمات مكتوبة • وهي كل عالم لم يكن متورعا فهو كالص • وكل رجل خلا من العقل
فهو والبهيمة على مثال واحد حكمة قال بعض الحكماء ينبغي للانسان ان يكون
بقلبه خادما • وبقالبه متقدما • وبعادته ابلها • اي يتجاوز عن الجيد والردي

وينبغي ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم • فانه قد يصيب العرض من لم يكن
راميا حكمه قال الاحنف بن قيس • لا صديق لملوك • ولا وفاء لكذوب •
ولا راحة لحسود • ولا مروة لدني • ولا زعامة لسيي الخلق حكمه قال
ذو الرياستين اشتكى رجل من خصم له الى الاسكندر • فقال الاسكندر لو جب
ان اسمع كلامك فيه على ان اسمع كلامه فيك • فخاف الرجل وامسك • فقال
الاسكندر كفوا انفسكم عن الناس لئا منوا من اناس السوء حكمه قال بزرجمهر
العوافي اربعة • عافية الدين • وعافية المال • وعافية البدن • وعافية
الاهل • فاما عافية الدين • ففي ثلثة اشياء • انك لا تتابع الهوي • وان تعمل
باوامر الشرع • وان لا تحسد احدا • وعافية المال في ثلثة اشياء ايضا
انعام النظر • وادا الامانة • واخراج الحق من المال • وعافية البدن
في ثلثة اشياء • قلة الاكل • والاقلال في الكلام • والاقلال من النوم •
وعافية الاهل في ثلثة القناعة • وحسن العشرة • وحفظ طاعة الله تعالى
وسئل خاتم الاصم لاي سبب لا تجد المتقدمين • فقال لانكم فاتكم خمسة
اشياء • المعلم الناصح • والصاحب الموافق • والحذا الدايم • والكتب الحلال
والزمان المساعد خبر جاء في الخبر ان رسول الله ع م • قال يا علي اقبل الي
بوجهك • واخل لي قلبك وسمعك • كل • وغط • واجمع • وهب • وتشدد
فقال علي ما معنى هذه الكلمات يا رسول الله فقال م يا علي كل الغضب
وغط عيب اخيك • وهب ظلم الظالم • واجمع لذلك الفقر الضيق المظلم
وتشدد في دين الله والاسلام حكمة قال رجل لبعض الحكماء اوصني فقال

انظر قضاه • واطلب رضاه • وتجنب جفاه **حكمه** سئل بعضهم اي شيء اكبر
بين الخلق • فقال كثرة التدبير • وليس قدرة مع الاستكثار • لا يزول الحاجة
والعبد يحرص على كل شيء الا على الفقير • وليس يحرص عليه احد لان الخلق
كلهم يطلبون الغناء • ولا يحرص احد على الغم لان الكل يطلبون السرور •
ويحرصون على الفرح • ولا يحرص احد على الموت لانهم يحرصون على الحيوة •
قال ابو القاسم الحكيم هلاك العبد في شيئين المعصية والانفراد
بالاراء في القرا **حكمه** بلاء الخلق من ثلثة العلماء المضلين • والقراء البله
والعوام الحسدة • وقيل لا تطلب فاء من خسيس الاصل • ولا تطلب صحة
من طامع • وقال الحكيم شيئان عزيزان في الزمان • الدين • والفقر • وقال
ان حفظت اربعة احوال كنت من الرجال • احدها ترك • يجب ان يكون
بحيث اذا علمه الناس رضيت • الثاني علانيتك بحيث لو اقتدي بك •
الناس جاز لك • الثالث ان تعامل الناس بما لو عاملوك به اخرته لنفسك
الرابع ان تكون حالتك للناس بحيث لو كان عليك رضيت بها **حكمه** قال
الحكيم • ينبغي ان تنظر ثلثة اشياء بعين ثلثة • وهي ان تنظر الفقراء بعين
التواضع لا بعين التكبر • وان تنظر الى الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد •
وان تنظر الى النساء بعين الشفقة • لا بعين الشهوة **حكمه** قال وهب ابن
منبه قرات في التورية • ام المعاصي ثلثة • الكبر • والحرص • والحسد •
وانها نتيجة خمسة اشياء • كثرة الاكل • وكثرة النوم • وراحة الجسم وحب
الدنيا • ومدح الناس • وقال من خلص من ثلثة فماواه الجنة • وهي المنة

والمؤنة • والملامة • اذا احسن لم يمن باحسانه • وان تخفف مؤنته عن الناس
واذا راى احدا لم يلمه **حكمة** يقال ان ابن القرية • دخل على الحجاج • وقال
له ما الكفر فقال البطر بالنعمة • واليأس من الرحمة • فقال ما الرضاء
فقال القنوع بعطاء الله • والصبر على المكاثرة • فقال ما الصبر فقال كظم
الغيظ • والاجتمال لما لا يراد • فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة
والرضاء عن الغضب • فقال ما الكرم فقال حفظ الصديق • وقضاء الحقوق
فقال ما القناعة • فقال الصبر عن الجوع • والعري عن اللباس • فقال ما الغنا
فقال استعظام الصغير بالآلة الحقيرة • فقال ما الحمية • فقال الوقوف
على راس من هو دونك • فقال ما الشجاعة • فقال الحملة على وجوه الاعداء
والكفار • والثبات في موضع الفرار • فقال ارضاء الرجال • قال ما العدل
قال ترك المراد • وصحة السيرة والاعتقاد • فقال ما الانصاف • قال المواساة
عند الدعاوي بين الناس • فقال ما الذل • قال المرض عند خلو اليد
والانكسار من قلة الرزق • فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء
فقال ما الامانة قال قضاء الواجب • فقال ما الخيانة • قال التراخي مع القدرة
فقال ما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقايقها **حكمة** قال الحكيم تمام
جلب الذلة على اصحابها وهي جلوس الرجل على مايدة لم يدع اليها • ومن تامر
على صاحب البيت • والطامع في الاخوان من اعدائه • والمضي الى حديث
اثنين لم يدخلا بينهما • ومحتقر السلطان • ومن جلس فوق مرتبته
ومن تكلم عند من لا يسمع كلامه • ومن صادق من ليس باهل **حكمة**

سئل بزرجمهر اي شيء يقبح بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه
لانه لا يوجد بخيلا ممدوحا • ولا ذو غضب مسرورا • ولا غافل حريصا ولا ترى
كريما حاسدا • ولا قنوطا غنيا • ولا تجد الملول صديقا حكمة قال الحكيم خمسة
يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها • الكسلان اذا فاتته الامور • والمنقطع
عن اخوانه اذا نالته شدة • ومن امكنته فرصة على اعدائها ثم عجز عن انتهازها
ومن ابتلي بامراة سوء وتذكر المراة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على
ارتكاب الذنوب حكمة سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال
فقال من قلب المال قلبه فليس بعالم • وقال حكيم العتاب الظاهر
خير من الحقد الباطن • وقال بزرجمهر اصحاب الغم والحزن في الدنيا
ثلثة • محب فارق حبيبه • ووالد شفيق ضل عنه ولده • وغني عاد
فقيرا حكمة قال حكيم خمسة يكون المال اعز من نفوسهم وارواحهم عليهم •
وهم القاتل بالاجرة • وحفار الابار • وراكب البحر للتجارة • والحواء الذي
يتصيد الحيات بيده • واكل السم بالمراهنة حكمة قال عمر بن معدي كرب
الكلام اللين يلين القلوب التي هي اقسى من الصخور • والكلام الخشن يخشن
القلوب التي هي انعم من الحرير • وقال الحكيم الحزن مرض القلب • وكما ان
الوجع مرض الجسد • والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد
وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك
الا ان اجمر وجهي مرة من الحياء • ولو اعطيتني لم يصفر وجهي وهي اقر
من مطالبتك بالف مرة حكمة وقال حكيم من لم يزرع قيمته لم يتباكى

شيئا قيمته • وقال من لين له لب ولا خطر فهو شجرة بلا ثمر • وقال من سل سيف
البغي قتل به نفسه • ومن لم ينصف من نفسه لم تخلص من حسرته
من اطلق يده بالعطاء اشرف وجهه بالضياء • وقال من تحرز من ذنوبه
فقد تعلقت به • وقال الشباب رضيع الجنون • والشيب قرين التوقير
والسكون • وقال تزود طاهر الزاد • ولا تخف من الاضداد عضه قال لقمان
الحكيم كنت اسير في طريق • فرايت رجلا عليه مسح • فقلت ما انت ايها
الرجل فقال ادمي قلت ما اسمك • قال حتى انظر هل اذكر اسمي لنفسي فقلت له من
اين يعطيك فقال من حيث يشاء • فقلت طوبى لك وقرة عين • فقال
ومن الذي يمنعك عن هذه الطوبى • وقرة العين حكمة ثلثة تذهب
الغم عن القلب • صحبة العالم • وقضاء الدين • ومشاهدة الحبيب • وقال
شيئان يجلبان الحزن الى القلب • الطمع في جود البخلاء • والمزاح مع الوضعاء
وقال تجنب من اربعة اشياء لتخلص من اربعة اشياء • تجنب من الحسد
لتخلص من الحزن • ولا تجالس مجلس السوء • وقد تخلصت من الملامة • ولا تركب
المعاصي • وقد خلصت من النار • ولا تجمع المال وقد استرحت من عداوة
الخلق حكمة قال الحكيم اربعة اعمال من مروة يعملها الناس فيجاوزون بها
في الدنيا والاخرة احدها الغيبة • فقد قيل الغيبة فارس يلحق سريعا
الثاني احتقار العلماء • لانه من حقر العلماء عاد حقيرا • الثالث كفران
نعم الله تعالى • الرابع قتل النفس • وللاكابر والحكماء مثل قديم • وهو قولهم
قاتل مقتول بعد حين كما قال الشاعر شعر اذا مكنت بالتكين كفا •

لقتل الناس فاذكر السبيلا • راي عيني قتيلا في طريق • فعض علي انامله طويلا
وقال لمن قتلك ترك حتي • غدوت كما اراني ملقا قتيلا • وقاتلك الذي ازاك ايضا
يذوق القتل فليطل العويلا • الباب السادس في شرف العقل والعقلاء
ان الله تعالي جل ثناؤه • وتقدست اسماؤه خلق العقل علي احسن صفة
وقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر • فقال وعزتي وجلالي ما خلقت في
خلقي شيئا اعز منك بك اخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب •
والدليل علي صحة هذا ان الله تعالي علي العباد شيئين • الامر • والنهي وكلاهما
موقوفان علي العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره • فاتقوا الله
يا اولي الالباب • واولوا الالباب هم ذوو العقول • واشتقاق العقل
من العقال • والعقل المنيع القلعة علي راس الجبل لا تصل اليها يد احد •
لامتناعها • وقوتها واحكامها حكمة سئل حكيم الفرس لم سمي العاقل عاقلا
فقال لان للعاقل اربع علامات يعرف بها • وهي ان يتجاوز عن ذنب
من ظلمه • وان يتواضع لمن دونه • وان يسابق الي فعل الخير لمن هو اعلي منه
وان يذكر ربه دايما • وان يتكلم عن العلم • وان يعلم منفعة الكلام في
موضعه • واذا وقع في شدة التجاء الي الله • وكذلك الجاهل له علامات
وهو ان يجور علي الناس ويظلمهم • ويعسف لمن دونه • ويتكبر علي الزعماء والمقدمين
وان يتكلم بغير علم • وان يسكت عن الخطا • واذا وقع في شدة اهلك نفسه
واذا راي اعمال الخير لفت عنها وجهه حكمة قال سعيد ابن جبير ما رايت
الانسان لابسا اشرف من العقل ان انكسر صححه • واذا وقع اقامه واذا زل

اغره • وان سقط في هوة جذب بضبعه منها واستنقذه • وان افتقر
اغناه • واول شيء يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل كما جاء في الحكاية
حكايت يقال انه ما كان في خلفاء بني العباس خليفة اعلم من المامون • في
جميع العلوم • وكان له كل اسبوع يومان يجلس فيها للمناظرة مع الفقهاء
وكان يجتمع فيه عند الفقهاء والمناظرون • والعلماء والمتكلمون فدخل
بعض الايام مجلسه رجل غريب • عليه ثياب رثة فجلس في اواخر الناس • و
قعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول • فلما ابتدوا في المسايل وكان رسمهم
انهم يديرون المسئلة علي جماعة اهل المجلس وكل من عرف زيادة لطيفة
او نكتة غريبة ذكرها • فذكرت المسئلة الي ان وصلت الي ذلك الرجل
الغريب • فاجاب عنها بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه
المامون • فامر ان يرفع من ذلك المكان الي موضع اعلي منه • فلما وصلت
المسئلة الثانية اليه اجاب بجواب احسن من جوابه الاول • فامر المامون
ان يرفع الي اعلي من تلك المنزله • فلما وصلت المسئلة الثانية اجاب
بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين • فامر المامون ان يجلس
قريبا منه • فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا
الطعام فاكلوا • ثم نهض الفقهاء وخرجوا • فقرب المامون ذلك الرجل
وادناه • وطيب قلبه ووعده بالاحسان اليه • والانعام عليه • ثم
عمي مجلس الشراب ونضده وحضر الندماء الملاح • ودارت الراح • فلما
وصل الدور الي ذلك الرجل وقف قايما علي قدميه • وقال ان اذن امير المؤمنين

تكلمت كلمة واحدة • فقال قل ما تشاء • فقال قد علم الرأي العالي زاده الله
تعالى علوًا ان هذا العبد كان يومًا في المجلس الشريف من مجاهيل الناس
و وضعاء الجلاس • وان امير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذي ابداءه
جعله معروفا واعلى درجة وبلغ به من الغاية التي لم تسم اليها همته • والآن
تريد ان تفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي اعزه بعد الذلة
وكثره بعد القلة • وحاشا وكلا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذي
معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب باعد عنه
عقله • وقرب منه جهله • وسلب ادبه • فعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما
كان ذليلًا • ورجع الى اعين الناس حقيرا مجهولًا • فان راى ان لا يسلب
هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمته فعل ذلك
متطولًا • فلما سمع المامون منه هذا الكلام مدحه وشكره واجلسه
في مرتبته • ووقر • وامر له • بمايه الف درهم • وحمله على فرس • واعطاه
ثياب • وتجمل • وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم
درجة • واعلى منزلة • وانما اوردنا هذه الحكاية لاجل فضل العقل لان العقل
يوصل صاحبه الى كل درجة عالية • ومرتبة سامية • وان الجهل يحط
صاحبه عن درجته • ويهبطه عن مكانته **حكاية** انه جاء بعض الايام
رجل الى باب دار ابي دوانيق المنصور • وقال للحاجب اعلم امير المؤمنين
ان بالباب رجل من اهل الشام اسمه عاصم • وهو يذكر انه كان في الزمان
الماضي بينه وبين امير المؤمنين مصاحبة مدة سنة اقل واكثر في التعلم

والدروس • وقد وصل الان للسلام • وللتجديد العهد بالامام • فلما عرف الحاجب
بذلك اذن له فلما دخل وسلم تقدم وقرب على ابي الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء
ادبه • فاجلسه وساله وقال لابي حاجة قدمت • فقال لرؤية امير المؤمنين
بوسيلة تلك الصحبة القديمة • فامر له بالف درهم فاخذها الرجل وانصرف ثم
عاد بعد سنة وكان قدمات للمنصور ولد • وهو جالس في عزيته • فدخل الرجل
وسلم عليه ودعا له فقاله الخليفة فيم قدمت • فقال انا ذلك الرجل الذي
كنت اتعلم معك العلم بالشام • وقد اتيت معزيًا لك برزيتك ومودعًا حق
عزيتك • فامر له بخمسمائة درهم وكان ابو الدوانيق سفلة بخيلًا • ولم يكن في بني
العباس اسخى منه • ولهذا لقب بابي الدوانيق • ثم عاد ذلك الرجل اليه بعد سنة
اخرى • فلم تجد له حجة يحتج بها في الدخول عليه الا انه دخل في جملة الناس
وسلم • فقال له الخليفة لاي سبب وصلت فقال انا الرجل الذي كنت معك
بالشام للتعليم وكتابة الاخبار • واستماع الاحاديث • وكنت قد كتبت معك
دعاء للحاجة • كل من دعا به في حاجة قضا الله حاجته • وقد ضاع
ذلك الدعاء مني • وقد اتيت امير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء واحفظه
فقال له المنصور لا تتعب في طلب ذلك الدعاء فانه غير مستجاب • فانه دعوت
به منذ ثلث سنين ليخلصني الله من صداعك فلم اخلص ولو كان مستجابًا
كنت قد خلصت منك • فجعل ذلك الرجل لما سمع هذا الكلام • وانما اوردنا هذه
الحكاية لان الانسان اذا كان عالمًا ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته
حكاية ويقال ان في ذلك العصر ايضا وصل رجل من مدينة الرسول م

الي المنصور بحكم صداقة كانت بينهما قديما فلما راي صار خليفة الزمان قدم
قدم عليه • ووفد اليه وكان الرجل غافلا لبيبا • ولم يكن عالما فلما راه قربه
وازلفه واستدعاه وقرب منزله • فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا احب
لك شديد المحبة • والولاء مخلص في الطاعة • والولا غيراني لا اصلح لخدمة
الملوك • فكيف ينبغي ان ازورك • بحيث لا يظهر مني سوء ادب • ولا اثقل
علي قلبك • فقال له المنصور اخر الزيادة • واذا زرتني فاجعل بين زيارتك
وانقطاعك مدة • اذا غبت فيها لم انسك • واذا حضرت لم املك • وازدد
عندي محبتك علي ما كنت عليه • واذا دخلت فاجلس بعيدا حتي يقربك
الحاجب مني بالتدريج • ولا تطل جلوسك • فتنسب الي سوء الادب • لا تسئل حاجتك
لئلا تثقل علي قلبي • واذا احسنت اليك فاشكرني في كل مجلس تحل فيه •
وكل منزلة تنزلها بحيث اذا بلغني ذلك سررت بشكرك وازددت في برك •
ولا تذكر في المجلس ما جري بيني وبينك في الزمان الماضي • فقبل الرجل هذه
الوصايا • فكان ياتي كل سنة يمضي الي سلامه مرتين • وكان الخليفة يعطيه
في كل مرة الف درهم • وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل
ولم يكن عالما • فان عقله يكون له دليلا • ومن كان ذا علم وليس له عقل
عادت امورها جميعها منعكسة منقلبة • ومن كان تام العقل والعلم
كان في الدنيا نبيا او حكيما او اماما • فان جمال الانسان وعزه ورتبته
وصلاح احوال دنياه • واخرته بالعقل • وتمامه وتكامل صفاته واقسامه •
كما قال الشاعر في شعره شعر بالعقل ينال المرء اوج البدر • والعقل به الجاه وباقي القدر

والعقل يغسل عار الوزر في التاج مع نفاد الامر • العقل اول الايمان • ووسط
الايمان • واخر الايمان • وقال بعض القدماء • العقل ان الانسان اذا وقع في
امر اجتهد في حسن خلاصه منه • بل العقل ان تجتهد ان لا يوقع نفسه في
امر تحتاج الي الخلاص حكمه قال بروز الحكيم لولده احفظ الرعية ليحفظك
العقل • واصرف افتك عن الرعية ليصرف العقل افته عنك • واعلم انك
حكم بين الناس والعقل حكم عليك • فكما ينبغي ان يقبل الناس امرك فكذلك
فكذلك ينبغي ان تقبل امر العقل حكمه كتب الوزير يونان كتابا الي العادل
انوشروان • ادي رسايل العقل وما يامر به العقل فشكره انوشروان • وامر
ان يكتب اليه جوابا • وقال ايها الحكيم لقد احسنت في تادية رسالة العقل
لاننا ومن تقدمنا من الملوك • انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان
العاقل اقرب الي الله تعالي عز وجل والعقل كالشمس في الدنيا وهو قلب الحسنات
والعقل حسن في كل احد • وهو في الاكابر والزعماء احسن • والعقل في جد
الانسان كالرطوبة في الشجرة • لان الشجرة ما دامت رطبة طرية كان الخلق
من رايحتها ونشر ازهارها وطيب ثمارها ونظارتها وطراوتها في سرور •
غبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وتحلت نظارتها فلا تصلح
حينئذ لسوي القطع والاحراق والقلع • وكذلك الانسان ما دام عقله قويما
وجسمه سليما فصحبته مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا زال عقله
وغلب عليه جهله فحينئذ لا يصلح للحياة ولا يستره غير الوفاة • وقال انوشروان
كيف ينبغي ان اخالف العقل ولا افعل ما يامرني به العقل فانه ليس لملك ولا

لرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين القبيح والمليح والجيد والردي
والحق والباطل والصدق والكذب وقال برزجمهر شيئان لا يمكن وجودهما
في شخصين كاملين العقل والشجاعة حكمة وقال لقمان الحكيم مهما كان
الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه مصاحبا حكمة
سأل انوشروان لبرزجمهر من نجب ان يكون اعقل الناس قال العدو اذا عاد في
فقال ولم قال لامن اساته وكل شيء اذا كثرها الا العقل فانه كلما كثر
كان اكثر صاحبه اعز حكمة وقيل لبرزجمهر اي شيء من الاشياء لا بد للانسان
منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر شيء لا يوجد في
احد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة
الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنا اعز من العقل ولا فقر اشد
من الجهل وكل من كان علمه او فر كانت حاجته الى العقل اكثر والمثل
في هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذي لا عقل له
وقالت العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة
والفهم وسرور الروح بالعقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره عقل
ثم ينبسط في جميع الجسد والعاقل لا يغتم ابدا لانه لا يفعل ما يوجب
الاغتمام ولا يهتم بامر لا يجوز لمثله الاهتمام حكمة سئل ابن عباس رض
العقل خير ام الادب فقال العقل لان العقل من الله والادب تكليف
وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير ام الادب فقال العقل فقيل له ما
العقل فقال العقل نعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ينبغي ان تعمل والعقل

انك اذا علمت عملت قال رسول الله ع م ما قسم الله لعباده خيرا من العقل
ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم
وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل حكمة قال رجل لاقليدس الحكيم لا استريح
او تلف روحك فقال انا لا استريح حتى اخرج الحقد من قلبك قال
الحكيم كما يفوح من الميتة الرائحة المنتنة كذلك يفوح من الجاهل
نتونة الجهل فمثله ونجيرانه واقاربه حكمة سئل حكيم ما العقل فقال
شداد وعقد بين ثلثة وعشرين شيئا فلولا هذه العقد لاختلط
الجيد بالردي اولا هو عقد بين التوحيد والشرك وبين الايمان
والكفر وبين الحذر والتهور وبين الاسلام والغفلة وبين اليقين
والشك وبين العافية والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن
الخلق والفصاحة وبين التواضع والكبر وبين العداوة والصداقة
وبين المدح والذم وبين الساهي والجهل وبين الحياء والقحة وبين
الحق والباطل وبين الرزانة والخفة وبين الظلمة والضياء وبين
الكرامة والذلة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله والغفلة
وبين والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة
وبين الحكمة والحمق قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس
في العقل وساير العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكاية
حكاية يروي ان الريح حملت كرسي سليمان ع م وجعلت تسيره فلاح
لسليمان بلد فامر الريح ان تحطه فرأى على باب البلد مكتوبا اجرة

اجتهاد يوم درهم • والحسن والجمال في يوم اجرته مائة دينار وعلم ساعة
واحدة لا تحصى قيمته • وجميع الاشياء منوطة بالعلم • والعلم اسير الراي
والتدبير والراي • مع العقل توامان • ومن اعطاه الله سبحانه وتعالى
العقل فقد اتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر شعر ان كنت من اصل جوهر منسوب
او يوسف في الحسن فتي يعقوب • الفارة فهي المرءة السراقة التي تحل كيس زوجها
وتسرق منه وتخبأه في بيوت جيرانها • وتسرق منه خنطته واسبابه
وتعطيه للعزالات • واما التي لها عادة الطرف فهي التي تدور طول نهارها
وتقول لزوجها اين تمضي ولا شك انك ما تريدني • وانك تحب غيري
ولست معي مستقيما ولا علي مشفقا • واما التي لها عادة التعلب • فانها
التي تخرج زوجها من البيت ومهما راته في البيت تمرضت وتعللت •
واذا دخل زوجها فتحت عليه باب الخصومة • وابتدأته بالنقار • وتقول
له تركتني في البيت وحيدة مريضة • واما التي لها عادة الغنمة فهي المباركة
الرحيمة • كالغنمة التي كل شيء فيها منفعة • وكذلك المرءة الصالحة الكيسة
النفع المشفقة على بعلها وجيرانها • وقرابتها واهل بيتها واولادها •
المطيعة لربها تعالى فصل واعلم ان ديانة المرءة • وسترها نعمة من نعم
الله تعالى على عبده • ومن مهمات ان يقدر على المرءة العفيفة طامع كما جاء
في الحكاية حكاية يقال انه اراد رجل فاسق ان يكابر امرءة عفيفة بالحرام
فقال لها امضي واغلقي ابواب الدار جميعها • واحكمي اغلاقها فمضت المرءة
ثم عادت فقالت قد غلقت ساير الابواب • واوثقت اغلاقها سوي باب واحد

فقال اي الابواب ذلك الباب • فقالت تلك الابواب التي بيننا وبين
الخلق قد اغلقتها • وقد بقي الباب الذي بيني وبين الخالق جلت عظمته •
ما قدرت عليه ولا استطعت ان اغلقه • وهو بحاله مفتوح • فوقع
في نفس هذا الرجل من هذا الكلام الهيبة فاخلص لله التوبة • واقلع
عن ذنبه • وعاد الى طاعة ربه الاعلى حكاية مثلها يقال انه كان رجل
علوي بسمرقند بعض الايام قايما على باب دار فاجتازت عليه امرءة
ذات يوم حسن وجمال • وكان الدرب خاليا فقبض العلوي على زند
الامرءة وجذبها الى داخل الدار • وهم ان يفسد معها • فقالت له الامرءة
اسئلك مسئلة اجبني عنها • وافعل بعدذلك فقال اذكري ما تريدين •
فقالت اذا انت وطيتني حراما • وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون
ذلك الولد علويا او خبيثا عاميا • فقال انه كان علويا • فقالت المرءة لاشك
انك انت من خبوث العلويين • ولو لم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذا
فخجل العلوي في الحال • ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه
لا يعود ينظر الى امرءة محرمة عليه نظر فساد • وينبغي ان يكون الرجل صاحب
حمية وغيرة على حرمه وناسه • فان الحمية من الدين الى حد انه لا
يجوز للرجل الاجنبي ان يسمع دق الامرءة الاجنبية بالهاون • واذا دق
رجل اجنبي باب الدار فلا تحل للمرءة ان تجيبه بليين وسهولة لان قلوب
الرجال تتعلق باقل الاشياء واكرها • وان كان لابد للمرءة ان تجيبه
فلتضع اصبعها في فمها ولتجيبه لتصير صوتها شبيها بصوت العجايز

ولا يجوز للنساء ان ينظرن الى الرجال الاجانب ولو كان المنظور اعمى وجاء
في الخبر ان رسول الله ﷺ دخل الى بيت عايشة رضي الله عنها • فراى عبد الله
ابن ام مكتوم قاعدا عند النساء • فقال لعايشة لا يحل للمرة ان تقعد عند
غير ذي محرم • فقالت يا رسول انه اعمى فقال ان كان لا يراك فانك ترينه
حكاية يقال ان الحسن البصري قصد زيارة رابعة العدوية رضي الله عنهما
في جماعة من اصحابه فلما وصلوا الباب • قالوا اتاذنين لنا في الدخول • فقالت
تمهلوا ساعة • وجعلت الكسا بينها • وبينهم سترا • واذنت لهم فدخلوا وسلموا
فاجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا فقالت امرت
بذلك في قوله ﴿ فاسئلوهن من وراء حجاب ﴾ • وواجب على الرجل ان لا ينظر
الى امرة اجنبية بحال فانه قل ان يجازي به في الاخرة يجازي به في
الدنيا كما جاء في الحكاية حكاية كان بمدينة بخارا رجل سقا يحمل الماء الى
دار رجل صايغ مرة ثلثين سنة • وكان لذلك الصايغ زوجة في نهاية الحسن
والجمال والظرف • والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء
السقا على عادته يوما وقلب الماء في الجاب • وكانت المرة قايلة في وسط
الدار • فدنا منها السقا واخذ بيدها ولواها وفركها وعصرها • ثم مضى وتركها
فلما جاء زوجها من السوق • قالت له اريدان تعرفني اي شيء صنعت اليوم
في السوق لم يكن لله تعالى فيه رضا • فقال الرجل ما صنعت شيئا فقالت
المرة ان لم تصدق وتعرفني ما اقعد في بيتك ولا اعود تراني ولا اراك ••
فقال اعلمي ان في يومنا هذا اتت امرة الى دكاني فصنعت لها سوارا من ذهب

من ذهب فاخرجت المرة يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت
من بياض يدها وحسن زندها فتذكرت هذا المثنوي مثنوي
في ساعدها سوار بتر واري • كالنار يلوح فوق ماجاري • هل يخطر في هواجس
الافكار • ماء وله منطقة من ناري • ثم اخذت يدها فعصرتها ولويتها
فقال المرة • الله اكبر لم فعلت مثل هذا لاجرم ذلك الرجل الذي كان يدخل
الينا منذ ثلثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدي وعصرها ولواها
فقال الرجل الامان ايتها الامرة انا تايب مما بدا مني فاجعلني في حل فقالت
المرة الله المسئول ان يجعل عاقبة امرنا الى خير • فلما كان من الغد جاء
السقا • والقا نفسه بين يدي المرة وتمرغ على التراب • وقال يا حبة المنزل
اجعليني في حل فان الشيطان اضلني واغواني • فقالت المرة في حال سلك
فانما ذلك الخطاء لم يكن منك • وانما كان ذلك الشيخ الذي في الدكان • فقبض
منه في دار الدنيا • فكذلك ينبغي ان تكون الامرة مع زوجها ظاهرها
وباطنها واحد • وتقنع منه بالقليل ان لم تقدر على الكثير وتقدي بفاطمة
وعايشة رضي الله عنهما لتكونن من خواتين الخلد كما جاء في الحكاية حكاية
كانت فاطمة رضي الله عنها تطحن كثيرا بالجار وشة حتى ادمت انامل يها فشكت
ذلك في بعض الايام الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ؓ فقال لها علي قومي
لابك ليبتاع لك خادمة • فاتت رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله اني مفتقرة
الى خادمة تعينيني في اشغالي • وتحمل عني بعض اثقالي فقال ﷺ الا اعلمك
يا فاطمة ما هو خير لك من كل خادم وخادمة واعز من سبع سموات وسبع

ارضين • فقالت علمني يا رسول الله فقال لها اذا اردت النوم فقولي قبل منامك
ثلث مرات • سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر • وفي الخبر
انهم لم يكن لهم في البيت الا كساء كانوا اذا غطوا رؤسهم انكشفت ارجلهم
وفي الليلة التي كانت فاطمة عروسا وزفت الي علي ابن ابي طالب كان تحتها
جلد شاة كانا ينامان عليه • وما كان لفاطمة رضي الله عنها من متاع
البيت سوي كسا ومحزم من ليف • لاجرم ينادي يوم القيامة مناديا
يا اهل الموقف غضوا ابصاركم حتي تعبر سيدة النساء • فاطمة الزهراء والمرءة
تعز عند زوجها • وتنمو محبتها عند قلبه باكرامها له • وطاعتها لامره وقت
خلوته بها ومجامعته • واكتسائها في بيته • ومجامعته لها وبحفظها
منافعه • واجتنابها مضاره • وترينها له • واكتسائها في بيته وقلة خروجها
من جدرها • وبان تكون عبقه النشر مجملة الامر • وبان تحفظ وقت طعامه
وشرابه • ومهما علمت انه يشتهيه اصطنعته له بطلاقة وبشر • لا تكلفه
حاجة مستحيلة • وان لا تكون لجوجة • وان تستر نفسها عند منامها • وان
تحفظ سر زوجها في غيبته وحضوره • وقال صاحب الكتاب
واجب علي الرجال ان يودوا حق النساء العورات • وان يحفظوا بهن من وجوه
الرحم والاحسان • والمداراة • ومن احب ان يكون مشفقا علي زوجته
متحببا عليها رحيما بها فليذكرها عشرة اشياء من احوالها لينصفها
بها • اولها ان المرءة لا تقدر ان تطلقه • وهو قادر علي طلاقها متي شاء •
وانها لا تقدر ان تاخذ شيئا بغير اذنه وهو قادر علي ذلك • وانها ما دامت

محبالك لا تقدر علي زوج سواك وانت تقدر علي التزويج عليها • وانها
لا تجوز ان تخرج من البيت بغير اذنك • وانت تجوز لك • وانها لا يمكنها
ان تعري • وانت يمكنك • وانها تخافك • وانت لا تخافها • وانها تقنع منك
بطلاقة وجهك في وجهها • وبالكلام اللين • وانت لا ترضي بجميع افعالها
وانها تفارق امها وابوها وجميع اقاربها لاجلك • وانت لا يفارق واحدا
لاجلها • وتقدر ان تتسرا وتختص بالجواري دونها وانها تخدمك دايما •
وانت لا تخدمها • وانها تتلف نفسها اذا كنت مريضا • وانت لا تغتم لها
ولو ماتت • فهذه الوجوه التي ذكرناها تجب علي العقلاء ان يكونوا رحماء
للنساء ولا يظلموهن • ولا يجوروا عليهن • فان المرءة اسيرة الرجل • وتجب
علي الرجال مداراة النساء لسبب نقص عقولهن • وبسبب نقص عقوبة
لا يجوز لاحد ان يتدبر بارائهن • ولا يلتفت الي اقوالهن • ومن اعتمد
علي ارائهن والتفت الي اقوالهن • ودبر نفسه بمشورتهن خسر كما خسر
في الحكاية حكايت يقال ان الملك خسرو بن پرويز كان يحب اكل السمك
وكان يوما جالسا في المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة
كبيرة واهداها لخسرو • ووضعها بين يديه فاعجبته فامر له باربعة
الاف درهم • فقالت شيرين بئس ما صنعت • فقال الملك لم فقالت لانك
اذا اعطيت بعد هذا من حشمك هذا القدر • قال قد اعطاني مثل عطيته
الصياد • فقال لقد صدقت • ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا في هباتهم وقد
فات الامر فقالت شيرين انا ادبر هذا الحال فقال وكيف ذاك فقالت تدعو

الصياد وتقوله هذه السمكة ذكر هي ام انثى فان قال ذكر فقل انما طلبت الانثى
وان قال انثى قل انما طلبت ذكرا فنودي الصياد فعاد وكان الصياد ذا زكاء
وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض وقال
له هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه وامر له باربعة
الاف درهم فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه ثمانية الاف درهم ووضعها
في جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم
واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله والحنى على الدرهم فاخذه والملك
وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين لخسرو ارايت حسة هذا الرجل
وسفالته سقط منه درهم واحد فالقى عن كاهله ثمانية الف درهم
والحنى على الدرهم فاخذه ولم يسهل عليه بتركه ليأخذه غلام من غلمان
الملك فخر خسرو من ذلك وقال صدقت يا شيرين ثم امر باعادة الصياد
وقاله يا ساقط الهمة لست بانسان وضعت هذا المال عن عنقك
لاجل درهم واحد واسفت ان تتركه في مكانه فقبل الصياد الارض
وقال اطال الله بقاك ايها الملك انني لم ارفع ذلك الدرهم لخطره
عندي وانما رفعته عن الارض لان على وجهه صورة الملك
وعلى وجه الاخر اسم الملك فخشيت ان يأتي احد بغير علم يضع عليه
قدميه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك واكون انا المأخوذ
بهذا فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكر فامر له باربعة الاف
درهم وامر خسرو مناديا ينادي لا يتدبر احد برأي النساء فانه من

تدبر برأيهن وائتمن بامرهن خسر زهمة ثلاثة **فصل** قال صاحب
الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بني آدم بالنساء والعمارة لا تصح بغير رأي
ولا تدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب على الرجال الفاضل
المتيقظ ان يحتاط في خطبة النساء وطلاقهن وليزوج البنت
لا سيما اذا بلغت ليلا يقع في العار والعيب ومرض القلب وعلى
الحقيقة كلما ينال الرجال من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء
كما قال الشاعر شعر من فتنة النسوان قد يعيي الفتى الرجل او يحتبي من الشجا
اللص لولاهن لم يك بائعا للروح منه بارخص الاثمان
وبهن قرع آدم مع يوسف في محكم التنزيل بالعصيان
ولذلك هاروت ببابل منكس ومعلق بالشعر جدا غائب
مجنون عامرهام من حب النسا في الستدباد عجايب النسوان
كل البلاء منهن يأتي والوفا
منهن لا يأتي مع الازمان
الحمد لله على اتمامه وصلى الله على النبي وآله